- لا تسيسوا السلفية
  المشرف العام
- آليات النهوض بالمنهج السلفي
  الدكتور عبد الواحد اللهيبي
- تأليف القلوب من أصول أهل السنة
  الأستاذ محمود الأزهري
- التحذير من مسلسل الحلاج
  الدكتور سليم الشنقيطي
- أنا السلفي يا أبتي !!
  حسانة بنت الإمام الألباني
- منهج السلف في التعاون
  الدكتور سامي الكيالي
- منهج السلف في التلقي والاستدلال
  الدكتور ياسر القدسي
- احذروا سماسرة الأعداء
  العلامة عبد الرحمن السعدي
- بطلان ما نسب للإمام مالك:
  «من جواز قتل ثلث الأمة لاستبقاء ثلثيها».
  أسرة التحرير

العدد الثاني- السنة الأولى - شعبان - ١٤٤٠هجري

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

علّمنا النبي ﷺ خطبة الحاجة في النكاح وغيره: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ثم يقرأ ثلاثَ آيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ و٧١].

أما بعد، ثم يذكر حاجته».

رسالتنا إلى:

١- طلاب العلم السلفيين؛ ليزدادوا بصيرة في منهجهم، وثباتًا عليه.

٢- حديثي العهد بالسلفية؛ لئلا ينخدعوا بما يجعجع به أدعياء السلفية وأصحاب المناهج المنحرفة من شبهات خطافة.

٣- عوام المسلمين؛ ليميزوا الحق عن الباطل، وينكشف لهم ضلال أهل الأهواء والبدع.

٤- الملبس عليهم من مثقفي المسلمين؛ لتذهب الغشاوة التي غطت أبصارهم وبصائرهم قبل أن يستفحل الداء، وتتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه.

٥- أهل الأهواء والبدع لدحض شبههم، وبيان حقيقة الدعوة السلفية لهم.

٦- علماء الدعوة السلفية الأحرار ليتعاونوا فيما بينهم للقضاء على كل المظاهر السلبية التي تظهر بين السلفيين.

رؤيتنا

١- ترسيخ المنهج السلفي في نفوس دعاته بأدلته من الوحيين وبيان خصائصه وشرح ميزاته.

٢- السعي الحثيث للإصلاح بين السلفيين وتوحيد كلمتهم.

٣- متابعة أخبار السلفيين في كل الأقطار ليحصل التواصل والتعارف بينهم .

٤- التعريف بجهود علماء الدعوة السلفية في خدمة الإسلام والدفاع عن قضايا المسلمين.

٥- توحيد الخطاب السلفي في الأحداث المعاصرة.

٦- إظهار حقيقة أهل السنة والجماعة بأنهم أعلم الناس بالحق وأرحم الخلق بالخلق من خلال صور التراحم والتعاطف والتوادد التي كانت بين السلف الصالح.

المشرف العام

الدكتور سليم بن عيد الهلالي

الهيئة الاستشارية

الدكتور إياد العكيلي

الدكتور بهاء الدين الآغا

الدكتور عبد المولى البشير

الدكتورعيسى الجدي

الدكتور عبد الواحد اللهيبي

ترحب أسرة تحرير المجلة بمقالات الباحثين وملاحظات القراء على البريد الإلكتروني التالي

almgala.assalafih@gmail.com

فهرس الموضوعات

أمانة الكلمة	الهيئة الاستشارية	٥
لا تسيسوا السلفية	المشرف العام	٧
آليات النهوض بالمنهج السلفي	الدكتور عبد الواحد اللهيبي	١١
تأليف القلوب من أصول أهل السنة	الأستاذ محمود الأزهري	١٥
الأسباب الموجبة لعدالة الصحابة	الدكتور إياد العكيلي	١٨
استهداف السلفيين	الدكتور بركات العوني	٢٣
مفاهيم خاطئة عن المنهج السلفي	الأستاذ عيسى الرجوب	٢٧
من أحوال السلف في رمضان	الدكتور سعيد القاسمي	٢٩
التكفير والتضليل لا يزيد الداء إلا إعضالاً	العلامة عبد الرحمن المعلمي	٣٤
أنا السلفي يا أبتي !!	حسانة بنت الإمام الألباني	٣٥
منهج السلف في التعاون على البر والتقوى	الدكتور سامي الكيالي	٣٧
أخلاقنا واقعية	الأستاذ أحمد الفواز	٤١
منهج السلف في التلقي والاستدلال	الدكتور ياسر القدسي	٤٤
تسويق التصوف بديلًا عن الإسلام الصحيح	الدكتور سليم الشنقيطي	٥٤
عجيبة	الأستاذ منير الإبراهيمي	٦٣
احذروا سماسرة الأعداء	العلامة عبد الرحمن السعدي	٦٥
الطريق الصحيح لإصلاح المجتمع	الإمام الألباني	٦٨
بطلان ما نسب للإمام مالك	أسرة التحرير	٧٠
الدرر البهية مختصر الفتاوى الألبانية	الإمام الألباني	٧٦
ترجمة الشيخ محمد شعيب عابدين	الدكتور هاني الحارثي	٨٠

أمانة الكلمة

الهيئة الاستشارية

السلفية ليس مجرد كلمة تقال، وكذلك العقيدة ليست مجرد كلمة، والمنهج ليس مجرد كلام يقال فحسب، إنما السلفية عقيدة، والعقيدة منهج، والمنهج شامل كامل؛ لأن السلفية هي دين الإسلام الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه، ولنتدبر معًا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣].

إن كلمة الدين لم تأت في القرآن إلا مفردة؛ فلم نجد كلمة أديان في أي آية من آياته، وهذا دليل واضح أنه لا توجد أديان غير الدين الحق، وهو الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء والمرسلين على السواء، ولنتدبر معًا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولننظر بالقلوب والعقول مبحرين في سورة الكافرون، وخاصة قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾؛ فعلى الرغم من تعدد المذاهب الباطلة والأفكار المنحرفة عن صراط الله المستقيم وهي كل دين يخالف الإسلام، وعلى الرغم من أن الحديث موجه إلى الكافرين بصيغة الجمع وأداة التعريف في بداية السورة؛ فالخطاب موجه إلى جميع الكفار على اختلاف معتقداتهم وتنوع أفكارهم، ومع ذلك جاء لفظ الدين بصيغة مفردة، رغم ذلك التعدد الرهيب والتنوع العجيب في كل المناهج الباطلة، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الباطل كله باطل، وأنه لا فرق بين كفر وكفر، وأن الكفر ملة واحدة، مهما اختلفت أشكاله، وتعددت ألوانه وأهدافه

وغاياته، وأن الحق واحد لا يختلف أبدًا، ولا يتعدد، ولذلك فالسلفية دين الحق ليس لها إلا طعم واحد، ولون واحد، وريح واحدة؛ هو: «ما انا عليه واصحابي»، و«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي عضوا عليها بالنواجذ».

الدعوة السلفية في الزمن الصعب

- لم يقف أحدٌ ضدَّ الفكر التكفيري المعاصر-في سائر مراحله- مثل دعاة الدعوة السلفية المباركة، وعلمائها.

- ولم ينشر أحدٌ مفاهيم الشرع النقية الطاهرة الظاهرة-بالعلم، والحلم، والعدل، والدليل-مثل دعاة الدعوة السلفية المباركة، وعلمائها.

- ولم ينشر أحد المفاهيم الوطنية-المنضبطة بالشرع الحكيم -كطاعة ولي الأمر- بالمعروف-، وعدم التكفير للحكام، ونبذ الثورات والانقلابات والفوضى-وأخواتها- مثل دعاة الدعوة السلفية المباركة، وعلمائها.

- وها نحن نؤكد ما هو معروف عنا-للجميع-:

* لسنا جهات-ولا جبهات- معارضة، ولن نكون.

* في ساعات العسرة التي مرت بالأوطان؛ كنا-معه- فضلاً من الله ونعمة-أصحاب الكلمة الواضحة، والموقف الحاسم، والرأي الشجاع- عندما تساقط الكثيرون! وصمت الأكثرون!!.

* لا نملك إلا ما رزقنا الله-تعالى- من علم شرعي، وبصيرة دعوية، وصبر على البلاء-بأقلامنا، وألسنتنا-.

* نتعاون على البر والتقوى-بالخير إلى الخير-من غير أدنى تحزب أو تعصب أو تمذهب-.

* الغلو مذموم-كلُّه-على أي رسم، وتحت أي اسم.

* التناصح الرفيق هو أغلى موجود، وأعز مفقود -والله المستعان-.

* نستمع للنقد والتوجيه، وننصت للنصح النزيه، ونتقبل التحذير والتنبيه-فرحين مسرورين-؛ أكثر من المدح والثناء، وعبارات الموالاة والولاء!

اللهم احفظ علينا ديننا، وآمنَّا في أوطاننا، واهدِ قلوبنا، واشرح صدورنا، واغفر ذنوبنا، وأصلح ولاة أمورنا، واجمع كلمتنا، ووحد صفنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

لا تسيسوا السلفية

المشرف العام

يُرمى السلفيون بالسلبية، وينعتون بالانغلاق؛ لإعراضهم المقصود في كثير من مواطن وجودهم عن (السياسة العصرية) ونظرتهم إليها نظرة تسبر أغوارها، وتكشف عوارها، وتهتك أستارها(!!)

وهذا الموقف السلفي ليس تطبيقًا -كما يظن الواهمون، ويتقول الخراصون- للفكرة العلمانية: (لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة)؛ أي: (دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر).

بل يعتقد السلفيون أن الإسلام نظام شامل كامل لجميع جوانب الحياة: الفردية، والجماعية، والمحلية، والإقليمية، والدولية، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾[الأنعام:١٦٢و١٦٣].

وقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٢٠٨﴾[البقرة:٢٠٨].

- إن فصل السياسة عن الدين والدين عن السياسة تلاعب في العقيدة والمنهج، قال شيخ شيوخنا محمد راغب الطباخ رَحِمَهُ اللَّهُ في محاضرة ألقاها في (دار الأرقم) في مدينة حلب ثم نشرت في مجلة «الفتح»: «هناك عشرات الآيات في الحكم، ووجوب أن يكون بما أنزل الله...

قال الله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٤٨].

وقال: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٤٩].

وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة:٤٤].

وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥].

وقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨].

وغيرها كثير من الآيات التي لم تبق -في العهد الأول الأنور- تصورات وكليات، وإنما أصبحت واقعًا معاشًا ضمن أحداث معينة جزئية في حياة رسول الله ﷺ وصحبه، ومن جاء بعدهم ممن حكموا بالإسلام، بل وجدنا في كتاب ربنا -أيضًا- آيات تتعلق بجميع شؤون الحياة:

منها ما يخص التشريع الجنائي، والتشريع الاجتماعي، والتشريع الحربي، والتشريع السياسي، كلها أنزلت للحكم والعمل، وقد وقع ذلك وحصل في نظام متميز عن جميع أنظمة الحكم الموجودة -قديمًا وحديثًا-، نفخر ونفاخر به جميع أنظمة الدنيا ودساتيرها.

وعني القرآن بالجملة في كليات وأسس ومبادئ هذه النظم؛ لحكمة جليلة فهو لم يحدد شكلًا ثابتًا، أو أسلوبًا جامدًا لنظام الحكم، لكنه نص على المبادئ والقواعد والمقومات الأساسية، فكان جامعًا لثبات الأصول، ومرونة الأشكال والأساليب، فالتاريخ لم يعرف نظامًا من أنظمة الحكم يصلح لجميع الأزمنة والأمكنة غير الإسلام، ضرورة أن المبادئ الثابتة لا بد أن توضع في إطار من الوسائل والأساليب المتغيرة المحكومة بالأصول، حتى لا يكون التغيير تحريفًا.

إن العبرة -كما يقرره الفقهاء- بـ الحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني، وعليه؛ فلا ضير في عدم استخدام القرآن للفظة السياسة، ولا يدل ذلك -بداهة- على ذمها، ولم يترك القرآن أصول النظر -على اختلافها- بما في ذلك السياسة إلا وقد رسمه ونص على كلياته؛ فهو لم يترك الحكام ولا المحكومين هملًا، ولم يهمل وقائع الحياة، ولم يتركها بلا حلول ولا أحكام، وفقهاء الإسلام لم يدعوا من وقائع الحياة شيئًا إلا نزلوه على مقتضى أحكامه وأحكام السنة النبوية على وفق تطبيق السلف الصالح، واجتهادهم المنتزع من نصوص الوحيين الشريفين.

ومن البديهي أن الإسلام جاء دعوة ربانية هادية، ومنقذة للبشرية من التخبط والضياع التي انحدرت إليه قبل عهد البعثة المحمدية» انتهى.

ومما سمعناه من شيوخنا الأكابر: الألباني، وابن باز، وابن العثيمين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: أن فصل الدين عن السياسة ضلال، وانحراف، وبدعة.

وقد يقول قائل أو يتساءل سائل: إذا كانت هذه أقوال علماء السلفية وفتاوي مشايخها الكبار فلماذا لا يصرف السلفيون بعض جهودهم إلى المجال السياسي؟!

والجواب يسير على من يسره الله عليه:

إن انصراف السلفيين عن تعاطي المجالات السياسية بالمفهوم العصري هو السياسة بعينها -الآن- للوجوه الآتية:

١- إن من يلمز السلفيين بالسلبية السياسية هو من يحصر السياسة في دائرة الانتخابات والبرلمانات، وإنشاء الأحزاب، والصراع على السلطة، ومعارضة الحكام، والقيام بالمظاهرات، والمسيرات، والإضرابات، وإصدار البيانات، وعقد المؤتمرات.

وأما من فهم السياسة بمفهوم الشرع المبين، وتمسك بحبل الله المتين؛ فسيجد السلفيين يمارسون السياسة بأبهى صورها، وأنقى معانيها، وأرقى مقاصدها: سياسة الدعوة، وسياسة العلم والتعليم، وسياسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسياسة التربية... الخ.

لقد اختار السلفيون لانطلاق دعوتهم ما رضيه الله لرسوله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم اختاروا جانب تعليم الناس وتزكية عقائدهم وأخلاقهم وتصحيح معاملاتهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢].

هذا هو المنهج النبوي لإصلاح الأمة، والتي صلحت به أول أمرها، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها، وما لم يكن يومئذ دينًا فلا يصير اليوم دينًا.

٢- إن معطيات الواقع المعاصر في ضوء موازين القوى العالمية لا تأذن بالمشاركة السياسية إلا بالتنازل عن كثير من ثوابت العقيدة والمنهج، والتي تعني ضياع الشخصية الإسلامية، والذوبان في بوتقة اللعبة السياسية؛ حيث يصبح السلفي المخلص لا لون له ولا طعم ولا رائحة.

لقد ضحى أناس بالتوحيد عندما اشتغلوا بالسياسة العصرية؛ فزعموا: أن الإلحاد حرية اعتقاد.

٣- والسلفيون يسعون بكل ما أوتوا من قوة إلى عودة الشريعة، وتطبيق أحكامها، وإظهار سلطانها في الأرض، وإن لم يمارسوا اللعبة السياسة العصرية وينخدعوا بأوهامها، وتغرهم أحلامها، وتفتنهم تصريحاتها، وكل ذلك من خلال إصلاح المجتمع المسلم حكامًا ورعية بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

٤- والسلفيون يدركون أن تغيير ميزان القوى ليس بيد البشر؛ وإنما هو بيد من بيده ملكوت كل شيء ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣].

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، و﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقد قالها فاروق الإسلام: «أتظنون أن الأمر من هاهنا -وأشار إلى الأرض- وإنما الأمر هاهنا -وأشار إلى السماء-».

وما زوال جبروت الاتحاد السوفييتي وطغيانه سنة (١٩٩١م) رغم قوته العسكرية المذهلة عنا ببعيد.

بل إن انهيار النظام الرأسمالي كقوة اقتصادية لا يزال شاخصًا بين أعيننا في هذه الأزمة الاقتصادية العالمية.

بعد هذا كله نقول -لمن كان مخلصًا للدعوة السلفية، وفيًّا لعلمائها، حريصًا على استمرارها، عاملًا على انتشارها: (لا تسيسوا السلفية؛ فمن السياسة الشرعية -الآن- ترك السياسة العصرية). والله الموعد.

قال الطرطوشي:

«إذا رأيت إنسانًا قد جبل على الخلاف؛ إن قلت: نعم؛ قال: لا، وإن قلت: لا؛ قال: نعم.

فألحقه بعالم الحمير؛ فإن دأب الحمار: إن أدنيته بَعُد، وإن أبعدته قَرُب».

(سراج الملوك - ص١١١)

وقال الخطابي:

«إن من الناس من يولع بالخلاف أبدًا، حتى إنه يرى أن أفضل الأمور ألا يوافق أحدًا، ولا يجامعه على رأي، ولا يواتيه على محبة.

ومن كان هذا عادته؛ فإنه لا يبصر الحق، ولا ينصره، ولا يعتقده دينًا ومذهبًا؛ إنما يتعصب لرأيه، وينتقم لنفسه، ويسعى في مرضاتها».

(العزلة - ص٥٩)

قال محدث العصر الإمام الألباني:

«كثير ما تقع المقاطعة والمصارمة مما يخطر في بال الإنسان من الظنون والأوهام تجاه أخيه المسلم».

(سلسلة الهدى والنور - شريط رقم ٢٣ الدقيقة ٣١ الثانية ٤٨)

آليات النهوض بالمنهج السلفي

الدكتور عبد الواحد بن محمد اللهيبي

لقد مرت الأمة الاسلامية بمراحل كثيرة من عمرها بين قوة وضعف، وتكالب عليها من الأمم الأخرى، وبقي المنهج السلفي شامخًا راسخًا في نفوس أبناء هذه الأمة المرحومة، ولكن مرت به ظروف وأحداث ضعف فيها هذا المنهج في نفوسهم إلا أنه لم يمت؛ لأن الله تعالى قضى أن يبقى هذا المنهج معمولًا به ظاهرًا غير مخفي حتى يأتي أمر الله والناس متمسكون بهذا المنهج لقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق: لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(١).

فهذا الحديث يشير إلى أن هناك طائفة ستبقى ظاهرةً على الحق تصدع به في كل زمان ومكان، وقد أشار جماعة العلماء إلى أنهم الذين يأخذون بالكتاب والسنة تطبيقًا وعملًا ومنهجًا بفهم سلف الأمة، وقد أشار الشيخ الألباني رحمه الله تعالى إلى ذلك في أكثر من موضع؛ فقال: «أنه في العصر الحاضر لا يكفي أن نقول: أنا مسلم، بل لا يكفي أن نقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة، لا بد من الأداة المميزة بين طائفة الحق التي أشار إليها الرسول في الحديث المعروف: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» إلى آخر الحديث، وبين الطوائف الأخرى التي تدعي أنها على الإسلام وهي بعيدة عن الإسلام كلًّا أو جزءًا، فلا بد من ضميمة: أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، وهذا من معاني قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ (النساء:١١٥) [سلسلة الهدى والنور].

هذا من الناحية العلمية، وأما من الناحية العملية لو اعتبرنا أن جميع المسلمين يقولون بالأخذ بالكتاب والسنة، فستكون السلفية

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم (٣/ ١٥٢٣).

أقربهم إلى أن ينطبق عليهم الحديث؛ لأنهم أكثر المناهج عملًا بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح ؛ لذلك استحقت أن ينطبق عليها الحديث المذكور أكثر من غيرها.

ودونك -يا رعاك الله- أهم الآليات المعينة على النهوض بالمنهج السلفي الذي هو منهج الطائفة المنصورة والظاهرة على الحق حتى يأتي أمر الله ومن ذلك:

أولًا: تصحيح العقيدة:

يجب أن يكون تصحيح العقيدة من أولويات سلم التعلم والتلقي في المجتمع السلفي اليوم؛ لأن أهم أسباب النهوض بالمنهج السلفي خصوصًا والأمة الإسلامية عمومًا هو تصحيح العقيدة، فلقد ثبت عن الإمام مالك أنه قال: «كان وهب بن كيسان يقعد إلينا، ثم لا يقوم أبدًا حتى يقول لنا: إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»[1].

فلو رجعنا إلى منهج التلقي عند الجيل الأول من هذه الأمة؛ لوجدنا الصحابة رضي الله عنهم يقدمون العقيدة حتى على تعلمهم للقرآن، وهذه هي الطريقة الصحيحة في التلقي، عن جندب بن عبد الله؛ قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن؛ ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا»[2].

وفي لفظ: «كنا غلمانًا حزاورةً مع رسول الله ﷺ، فيعلمنا الإيمان قبل القرآن، ثم يعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا، وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان»[3]، فهذا هو الطريق الصحيح للتلقي وهو الطريق الذي يجب الرجوع إليه؛ لأن تصحيح العقيدة هو الطريق الأمثل والسبيل الأعدل للتمكين والنهوض بهذه الأمة نحو عزها ومجدها: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

ثانيًا: القضاء على الفاحشة ومنع كل الوسائل والمقدمات المفضية إليها:

ويكون القضاء على الفاحشة بالتدرج؛ لأنها تحتاج إلى وقت طويل خصوصًا بعد انتشارها وسهولتها على الرجال والنساء بسبب انتشار هذه الوسائل الحديثة التي

(١) «مسند الموطأ» للجوهري (ص ٥٨٤).

(٢) «سنن ابن ماجه» (١/ ٢٣) وصححه الشيخ الألباني.

(٣) «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ١٧١).

تسهل على الناس الوقوع في الفواحش والمنكرات.

فليعلم المسلمون: أن من أهم أسباب ضعف الأمم وانهيار دولها هو انتشار الفاحشة، فلو فتشت عن أسباب سقوط الدولة الأموية والعباسية والعثمانية ستجد أن من أهم الأسباب التي ساهمت في إسقاط هذه الدول وضعف المسلمين في ذلك الزمان هو ضعف العقيدة الصحيحة في نفوس الناس، وانتشار البدع والخرافات والمناهج المنحرفة، والسبب الثاني هو انتشار الفواحش وإن كانت مخفية غير علنية؛ لذلك جاء القران ليحذرنا من الفاحشة ليس الوقوع فيها وانتشارها فحسب بل حتى الاقتراب منها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فانتشار الزنا من عوائق نهضة الأمة الإسلامية بالمنهج الصحيح منهج السلف الصالح ؛ لأن الزنا فيه اختلاط الأنساب، وتفكك المجتمع الإسلامي؛ لذلك نهانا الله تعالى عن الاقتراب منه، ومن نعم الله على العرب الذين هم مادة الإسلام أنهم فضلوا على غيرهم من الأمم بثلاث: (الأنساب، والإسناد، والإعراب).

وتأمل دقة القران وبلاغته وشدة اهتمامه بهذا الأمر، فلو تأملت نصوص القرآن والسنة النبوية تجدها تشير إلى أن محبة الإنسان لانتشار الفاحشة بين المؤمنين؛ فإنه يعرض نفسه لأمر خطير يستحق عليه العذاب الأليم في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

تأمل -يا رعاك الله- هذه الآية العظيمة وخطورة الجزاء الذي جاءت به، وعلى الرغم من أن هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن حادثة الإفك في سورة النور ولكن (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)؛ فكل من يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا يشمله التهديد والوعيد في هذه الآية، والله تعالى أعلم.

ولقد لخص لنا ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال السلف مقارنة بين أحوال المسلمين بأزمنة ضعف المنهج السلفي وقوة الفواحش والمنكرات معلّلًا إياها بقوله: «قال في «الفنون»: من عجيب ما نقدت أحوال الناس كثرة ما ناحوا على خراب الديار، وموت الأقارب والأسلاف، والتحسر على الأرزاق بذم الزمان وأهله، وذكر نكد

العيش فيه، وقد رأوا من انهدام الإسلام، وشعث الأديان، وموت السنن، وظهور البدع، وارتكاب المعاصي، وتقضي الأعمار في الفارغ الذي لا يجدي، والقبيح الذي يوبق ويؤذي، فلا أحد منهم ناح على دينه، ولا بكى على فارط عمره، ولا تأسى على فائت دهره، ولا أرى لذلك سببًا إلا قلة مبالاتهم بالأديان وعظم الدنيا في عيونهم، ضد ما كان عليه السلف الصالح: يرضون بالبلاغ، وينوحون على الدين»[٤].

ثالثًا: قلة العلم وانتشار الجهل:

إن تصحيح العقيدة والقضاء على الفواحش واللذين هما من أهم عوامل نهوض المنهج السلفي يرتكزان على أمر مهم ألا وهو العلم، فكثيرًا ما يقرن القرآن بين العقيدة والعلم: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد:١٩].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وكثيرا ما يربط رسول الله ﷺ بين ظهور الفواحش ووقوع الفتن وبين رفع العلم ونزول الجهل:

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «إن بين يدي الساعة أيامًا يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج». «و الهرج القتل»[٥].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم واحد»[٦].

فالعلم هو أهم أسباب نهوض الأمم وازدهارها؛ لذلك يقول النبي ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالمًا، اتخذ الناس رءوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».[٧]

فإذا خلت الديار من العلماء الربانيين اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا؛ فافتوا بآرائهم وتجاربهم واستحسانهم، فضلوا وأضلوا، لذلك صدق من قال:

خلت الديارُ فسدتُ غير مُسَوَّدِ
ومن الشقاء تَفَرُّدي بالسُّؤْدَدِ

(٤) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» لابن مفلح الحنبلي (٢/ ٢٤٥).

(٥) متفق عليه.
(٦) متفق عليه.
(٧) متفق عليه.

تأليف القلوب أصل أصيل من أصول أهل السنة والجماعة

الأستاذ محمود محمد الأزهري

من الأصول المتفق عليها بين العقلاء من الناس عامة وأهل السنة والجماعة خاصة: أن الاجتماع والائتلاف مطلب ضروري لا غنى عنه، وهو أصلٌ أصيل مقرر في معتقد أهل السنة والجماعة، وقد جاء الشرع بالتأكيد على هذا الأصل ورعايته، والحث عليه لأهميته، وعظيم مكانته.

والتأليف بين القلوب مقصد شرعي ومنة عظمى امتن الله بها على عباده، فقال جل ذكره: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وممن أولى هذا المقصد عناية بالغة وأكثر الكلام عليه في جل مصنفاته من اتهم بالتفريق بين المسلمين وهو مما اتهم به بريء شيخ الإسلام والمسلمين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه فسيح جناته.

وهذه نبذ من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا الأصل الأصيل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتعلمون أن من القواعد العظيمة، التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١]،ويقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] . وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف. وأهل هذا الأصل: هم

أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة».[1]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم اعلموا - رحمكم الله وجمع لنا ولكم خير الدنيا والآخرة- أن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكان قد بعث إلى ذوي أهواء متفرقة، وقلوب متشتتة، وآراء متباينة؛ فجمع به الشمل، وألف به بين القلوب، وعصم به من كيد الشيطان.

ثم إنه سبحانه وتعالى بين أن هذا الأصل -وهو الجماعة- عماد لدينه؛ فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥].

فانظر -رحمك الله- كيف دعا الى الجماعة، ونهى عن الفرقة، وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]؛ فبرأ نبيه ﷺ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، كما نهانا عن التفرق والاختلاف؛ بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥]»[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أمر الله بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف؛ فقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقد أخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون فقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]»[3].

ومن أهم ثمرات الائتلاف ونبذ التفرق والاختلاف:

١ - عصمة أهل السنة من الأهواء والفتن:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ١٧٠).

(٣) «الرد على المنطقيين» (ص ٣٣٤).

قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]: «وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة -أيضًا-، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة؛ فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه»(٤).

٢- صلاح الدين والدنيا وتحصيل المنافع الدنيوية والأخروية:

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في تفسير الآية السابقة -:

«فإن في اجتماع المسلمين على دينهم وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم، وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه؛ ولو أدى إلى الضرر العام»(٥).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٩٠).
(٥) «تفسير السعدي» (ص١٤٢).

ضرورة الرفق واللين في دعوة الناس

قال الإمام الألباني:

«إذا أردنا أن ندعو الناس إلى ما امتن الله به علينا من الهدى والنور؛ فيجب أن نترفق بهم، وأن لا نشدد عليهم، وأن لا نظهر أمامهم بأننا متميزون عليهم بهذا العلم.

يجب أن نعد الناس كلَّ الناس الذين نراهم بعيدين عن هدي الرسول ﷺ مرضى.

ولا شك أن المرض المعنوي أشد وأضر على صاحبه من المرض المادي البدني، وإذا كان من المفروض في الطبيب البدني أن يترفق بالمريض حتى يقول كثير منهم: أن بعض المرضى يعافون بمجرد أن يسمعوا كلامًا لطيفًا من طبيبهم، فيجب أن يكون طالب العلم الذي يتولى إرشاد الناس وهدايتهم إلى اتباع السنة واتباع ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم رفيقًا في دعوتهم، لطيفًا في معاملتهم».

(جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى- ١/ ٢٠٧)

الأسباب الموجبة لعدالة الصحابة في توثيق السنة النبوية وروايتها (١)

الدكتور إيـاد العكيلي

تتعرض السنة النبوية بين الحين والآخر للطعن فيها والنيل من منزلتها، ومن الطعونات المتكرّرة ما يوجّه لجناب الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ إذ هم الوسائط التي تمّ بها نقل الأحاديث النبوية، ومن تلكم الطعونات: الطعن في عدالة الصحابة والتشكيك في ضبطهم للأحاديث، وتوهين مروياتهم والحط من جهودهم في ذلك.

ولذلك سنبيّن شيئًا من أسباب تفوّق الصحابة الكرام في ضبط أحاديث نبيّنا ﷺ، وذلك ضمن المطالب الآتية[١]:

المطلب الأول: تفوّق الصحابة رضي الله عنهم في الضبط بأسباب من جهة النبي ﷺ.

أولًا: تمهّل النبي ﷺ عند الأداء.

عُرف عن النبي ﷺ تمهّله في أداء الحديث حتى أنّ العادّ لو أراد أن يعدّ كلماته لأحصاها؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها[٢]، ومعلوم أن التمهّل في الإلقاء يجعل الحديث أكثر وضوحًا فلا تلتبس الكلمات ولا تُستشكل الحروف ممّا يؤدي إلى سهولة حفظه وضبطه.

ثانيًا: إعادته ﷺ العبارة وتكراره لها.

(١) ينظر للتوسّع: «أسباب تفوّق الصحابة في ضبط الحديث»، د.سلطان العكايلة، ود.محمد عيد الصاحب، و«السنة قبل التدوين»، د.محمد عجّاج الخطيب، و«مناهل العرفان في علوم القرآن» لمحمد عبد العظيم الزرقاني (١/ ٢٩١).

(٢) البخاري (٣٥٦٧)، مسلم (٢٤٩٣).

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبي ﷺ كان «إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا»، وقد علّل رضي الله عنه هذا الأسلوب العلمي بقوله: «حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ»[٣].

ولا يخفى على العارف بأساليب التعليم أن التكرار للدرس له أثر بالغ في الحفظ والضبط، ولذلك قيل: «في الإعادة إفادة».

ثالثًا: بركة دعاء النبي ﷺ.

حاز بعض الصحابة قوة الحفظ ببركة دعاء النبي ﷺ كابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي ضمّه ﷺ إلى صدره، وقال: «اللهم علمه الحكمة»[٤].

وممن حصل لهم الدعاء كذلك أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضْهُ، فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي»فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ»[٥].

وهكذا كان ابن عباس وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد الدعاء لهما من المكثرين من رواية الأحاديث والضابطين لها.

قال أبو زرعة الرازي:
«إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة».

«الكفاية» للخطيب البغدادي (ص ٩٧)

المطلب الثاني: تفوّق الصحابة رضي الله عنهم في الضبط بأسباب خاصة بهم.

أولًا: علوّ إسنادهم.

من المقرر عند المحدثين أن طبقة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تعد أولى الطبقات في سلسلة الأسانيد؛ لكونهم ملاصقين للنبي ﷺ في رواية الحديث ونقله، ولأنّ تلقيهم للعلم عن النبي ﷺ

(٣) البخاري (٩٥).
(٤) البخاري (٣٧٥٦).
(٥) البخاري (٧٣٥٤)، مسلم (٢٤٩٢).

كان تلقّيًا مباشرًا دون وساطة أحد، فاستدعى كل هذا أن تكون طبقة الصحابة الكرام تعلو ما سواها من الطبقات جميعًا من حيث دقة الحفظ وقوة الضبط.

ثانيًا: اقتران رواياتهم بوقائع ومشاهد حضروها.

من المعلوم أن الخبر إذا اقترن بحادثة أو واقعة أو قرنه سامعه بزمان أو مكان معينين وما أشبه ذلك كان ذلك أدعى لحفظه؛ وسبباً لثباته في قلبه، وكان الناقل له أبعد عن الوهم فيه أو نسيانه، بل كان ذلك سببًا في استحضار دقائقه وتفصيلاته.

لقد قرر علماء النفس أن ارتباط المعلومات بأمور مقارنة لها في الفكر تجعلها أبقى على الزمن، وأثبت في النفس؛ ولهذا امتاز تحمّل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للحديث بهذه الميزة التي انفردوا بها عمّن جاء بعدهم، فحضروا الوقائع والحوادث، وعاشوا تطبيق الإسلام تطبيقاً عمليًّا، وشاهدوا بأعينهم، وسمعوا بآذانهم سيرته ﷺ وأفعاله وما صدر عنه، يقول الزرقاني: «ارتباط كثير من كلام الله ورسوله بوقائع وحوادث وأسئلة من شأنها أن تثير الاهتمام، وتنبّه الأذهان، وتُلفت الأنظار إلى قضاء الله ورسوله فيها، وحديثهما عنها، وإجابتهما عليها، وبذلك يتمكّن الوحي الإلهي والكلام النبوي في النفوس فضل تمكّن، وينتقش في الأذهان على مرّ الزمان»[٦].

ثالثًا: اقتران بعض الأحاديث بأمور خارقة حضروها.

معلوم أن الأمور الخارقة -سيّما المؤيّدة بالوحي- تثبت في الحافظة، وتستقر في الصدر، وتتركز في الفؤاد؛ فلا تكاد تُنسى، ولا يكاد يقع فيها الوهم، بل تنتشر ويتناقلها الفئام من الناس، وقد وقع للنبي ﷺ أمور خارقة في حوادث كثيرة كانت دليلاً على نبوّته وصدق رسالته، ولا شكّ أن هذه الخوارق نُقشت في ذهن من رآها أو عايشها نقشًا يصعب ذهابه، ويمنع ضياعه.

رابعًا: سيلان أذهانهم وصفاء فطرتهم.

(٦) «مناهل العرفان في علوم القرآن» (١/ ٣٠٠).

امتازت حياة العرب ببساطة العيش، والبعد عن تعقيد الحضارة ومشاكلها، فأكسبتهم هذه الحياة قوة في القريحة، وحدة في الخاطر، ونشاطًا في الذاكرة، ومن الأمور الثابتة منذ القدم حتى عصرنا الحاضر: أن الاعتماد على الذاكرة يعد شكلاً مفضّلًا لحفظ المعرفة وتخزين المعلومات، وإنّك لتجد تفضيل ذلك حتى عند الحكماء والفلاسفة، فمن طريف ما يُذكر عن سقراط: أنه طلب في صباه من أستاذه طيماوس أن يدوّن ما سمعه منه من الحكمة، فنهاه قائلًا: «ما أوثقك بجلود البهائم الميتة، وأزهدك في الخواطر الحية، هب إنساناً لقيك في طريق فسألك عن شيء من العلم، هل كان يحسن أن تحيله على الرجوع إلى منزلك والنظر في كتبك، فإن كان لا يحسن، فالزم الحفظ»؛ فلزمه سقراط[٧].

ولا شك أن بساطة حياة الصحابة رضي الله عنهم واتّكائهم على العرف السائد في زمانهم باعتماد الحفظ كوسيلة لتلقّي العلم والتثبّت فيه، كان ذلك مدعاة لقوّة ذاكرتهم «إذ السنة الإلهية في قوانين الحياة تقضي بأن الاستخدام المستمر لملكات إنسانية معيّنة يجعلها أقوى وأكثر استجابة»[٨]، فكيف إذا انضاف إلى ذلك شرف ما يسمعون من خير الهدي للنبي ﷺ الذي مسّ حبه شغاف قلوبهم، فكانوا يرمقون حركاته وسكناته، حتى نقلوا لنا أدق التفاصيل في ذلك، كنقلهم كيفية حركة أصبعه في تشهده في الصلاة، وأحصوا عدد الشيبات في رأسه ولحيته ﷺ.

خامسًا: تقواهم وورعهم.

من المعلوم أن التقوى سبب موصل للعلم، بل إنها من أعظم الأسباب لحفظ العلم، وضبط ما في الصدر، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقد عُرف عن الصحابة رضي الله عنهم ورعهم وتقواهم وقوة إيمانهم وصدق يقينهم؛ حتى امتدحهم ربهم،

(٧) «مختار الحكم ومحاسن الكَلِم»، لأبي الوفاء المبشر بن فاتك، (ص ٦٧).

(٨) «دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث»، امتياز أحمد، (ص ١٩١).

وأثنى عليهم نبيّهم.

سادسًا: توظيف ما تحمّلوه من الحديث قولاً وعملاً.

ما من ريب أن العلم ليس مقصودًا لذاته فحسب، بل هو وسيلة للعمل الذي تزكو به النفس، ويستقيم به السلوك، وإلا كان العلم وبالاً على صاحبه: «وما من شك أن العمل بالعلم يقرره في النفس أبلغ تقرير، وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقش، على نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس من أن التطبيق يؤيد المعارف، والأمثلة تقيد القواعد، ولا تطبيق أبلغ من العمل، ولا مثال أمثل من الاتباع، خصوصًا المعارف الدينية؛ فإنها تزكو بتنفيذها وتزيد باتباعها»[٩]، وقد كان الصحابة مثالًا أعلى في تحقيق هذه المعاني السامية قولًا وعملًا واعتقادًا، وفي هذا المعنى الدقيق يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان الرجل منّا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»[١٠]، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدّثنا الذين كانوا يُقرؤننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات، لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا»[١١]، وهكذا كان توظيف الصحابة عملياً وواقعاً معاشاً لما سمعوه أو علموه من رسول الله ﷺ له الأثر الواضح في تفوقهم في ضبط الحديث النبوي الشريف.

قال الإمام أبو نعيم رَحِمَهُ اللَّهُ:
«فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم، ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة؛ إلا مفتون القلب في دينه».
«تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة» لأبي نعيم (ص ٣٤٤).

(٩) «مناهل العرفان» للزرقاني (١/ ٣١١).

(١٠) «تفسير الطبري» (١/ ٧٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٨).

(١١) المرجعان السابقان.

استهداف السلفيين

الدكتور بركات بن مبارك العوني

لقد نجحت أمريكا إلى حد كبير في صرف أنظار كثير من المسلمين عن خطرها، وحاولت توجيه الكره والعداوة -بمكر- إلى إيران ومشروعها الرافضي؛ فكثرت التحذيرات من الخطر الصفوي، وهذا حق واجب، ولكن لا ينبغي أن يصرفنا عن خطر المشروع الأمريكي ومن سار في فلكه؛ فإنهم أخطر ما يكون على المسلمين، بل إن المشروع الصفوي الرافضي أداة من أدوات تنفيذ المشروع الأمريكي، وتمريره في المنطقة.

وعندما نقول «المشروع الأمريكي»؛ فإننا نعني بذلك وجود أموال، وخبراء، وعملاء، وأجهزة استخبارات، ومراكز أبحاث، ووسائل إعلام، وأسلحة، وكلها مجندة لخدمة المشروع.

فإن قيل: لماذا تركز أمريكا في حربها على الإسلام السني؟

فالجواب: بعد أن انفردت أمريكا كقوة عظمى في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي قيض الله لهذه القوة المتغطرسة دين الإسلام وأهله، وبدأت المدافعة بين المعسكر الغربي وعلى رأسه أمريكا وبين العالم الإسلامي، وأيقنت أمريكا أن عدوها الأول هو الإسلام وأهله، ولا سيما بعد بوادر الرجوع إلى دين الإسلام، واشتعال جذوة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في أمكنة كثيرة من بلدان المسلمين، حتى وصلت الدعوة الإسلامية إلى عقر ديارهم، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجًا،

فأجلبت بخيلها ورجلها، وكشفت عن ساق الحرب، وشنتها على أكبر خطر يهددها؛ ألا وهو: دين الله الخالد الإسلام وحملته من العلماء والدعاة.

ومن خلال هذه الحرب: اكتشفت أمريكا وعملاؤها بما يملكونه من مراكز بحوث استراتيجية أن المنتسبين للإسلام ليسوا سواء، وليسوا كلهم أعداء لها، فصنفت المسلمين إلى معتدلين وأصوليين، فأخرجت من حربها من تراه في نظرها من الموالين لها، ممن تسميهم بالمعتدلين من اللبراليين والعصرانيين والمتصوفة، وجميع الفرق الباطنية، ورأت أنهم لا يشكلون خطرًا عليها، بل لقد رأت فيهم صيدًا ثمينًا، وذراعًا قوية، استخدمته ووظفته في حرب التيار السني السلفي الذي استعصى عليها، وأعلن عداوتها والبراءة منها، وحرص على مفاصلتها، فحصرت حربها فيهم كمرحلة أولى، يتلوها حرب شاملة على المسلمين كافة، والحروب في سوريا والعراق واليمن وليبيا خير شاهد على ذلك.

ولم تكن هذه الحرب على الصعيد العسكري فحسب، بل على صعيد آخر أكبر منه وأخطر؛ ألا وهي: حرب الأفكار، وتشويه الدعوة السلفية النقية، واغتيال شخصيات رموزها وعلمائها ودعاتها.

وهذا تقرير «راند» الشهير -وهو من مراكز الأبحاث الأمريكية الخطيرة المؤثرة في صنع القرار الأمريكي، يقول في تقريره الشهير: «بناء شبكات إسلامية معتدلة»: «بأن الولايات المتحدة الأمريكية تقود حربًا على الصعيدين الحربي والفكري، فهي تقود معركة بالأسلحة، ومعركة بالأفكار، حيث لن تكون الغلبة على الجانب الآخر إلا بتشويه الأيدلوجيات المتطرفة في أعين معتنقيها ومؤيديها».

ويوصي التقرير في مواطن أخرى: «بأن تدعم الإدارة الأمريكية قيام شبكات وجماعات تمثل التيار

العلماني والليبرالي والعصراني في العالم الإسلامي؛ لكي تتصدى تلك الشبكات والجماعات لأفكار وأطروحات التيار الإسلامي، التي يصفها التقرير بالجملة أنها تيارات متطرفة».

وكما يوصى التقرير: «أن يستخدم التيار التقليدي والصوفي في مواجهة الإسلام السلفي، وقد تم تعريف التيار التقليدي والصوفي في هذا التقرير: أنه التيار الذي يصلي في الأضرحة، خلاف ما تدعو إليه الوهابية، ويميل إلى التصوف والتعصب للمذاهب»[1].

والحاصل: أن أمريكا وحلفاءها، ومن دار في فلكها، قد حددوا عدوهم الاستراتيجي الذي ينبغي أن توجه إليه الحرب بكل أشكالها، وأنه الدعوة السلفية التي تنطلق من عقيدة التوحيد، ومنهج الاتباع، ومبدأ الولاء والبراء.

ولذلك؛ فإن حملة هذا المنهج هم المستهدفون مرة باسم الأصوليين، وتارة باسم السلفيين، وثالثة باسم الوهابيين، ولهذا نجد العالم بكفاره ومنافقيه ومرتديه ومبتدعيه ضد أنصار هذا المنهج الذي يمثل الدين الصحيح.

وينطلق المشروع الأمريكي في حربه العالمية على أهل التوحيد والسنة، من خمسة محاور:

المحور الأول: الحرب العسكرية.

المحور الثاني: الحرب الفكرية العقدية.

المحور الثالث: الحرب الاقتصادية.

المحور الرابع: الحرب الاجتماعية والسلوكية.

المحور الخامس: الحرب السياسية.

وعن هذه الأنواع من الحروب الموجهة إلى الإسلام السني؛ يقول الرئيس الأمريكي السابق (بوش) في خطاب له بعد أحداث: (١١ سبتمبر): «نحن نحارب في جهات

(١) انظر «قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧م» لباسم خفاجي.

مختلفة: عسكرية، واقتصادية، وسياسية، وفكرية، ونحن واثقون بأننا سننتصر في كل جهة»، وعلى شاكلته تصريح وزير الدفاع الأمريكي -آنذاك- في حديث أدلى به إلى صحيفة (الواشنطن بوست) في (٢٧/ ٣/ ٢٠٠٦م) قال فيه: «نخوض حرب أفكار مثلما نخوض حربًا عسكرية، ونؤمن إيمانًا قويًا بأن أفكارنا لا مثيل لها»، وأردف قائلًا: «إن تلك الحرب تستهدف تغيير المدارك، وإن من المحتم الفوز فيها، وعدم الاعتماد على القوة العسكرية وحدها».

وقال رئيس وكالة المخابرات الأمريكية السابق «جيمس وولسي» في عام (٢٠٠٦): «سنصنع لهم إسلامًا يناسبنا، ثم نجعلهم يقومون بالثورات، ثم نُقسمهم لنعرات عصبية، ومن بعدها نحن قادمون للزحف وسوف ننتصر».

إضاءات

لدينا نحن المسلمين حزب واحد: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:٢٢)، و﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (المائدة:٥٦)؛ -طبعا ليس حزب اللات الرافضي- وجماعة واحدة: «تلزم جماعة المسلمين وامامهم».(متفق عليه)

وخسئت بعد ذلك كل الجماعات والتنظيمات والأحزاب -كمناهج-؛ لأن تكفير المنهج لا يستلزم -ضرورة- تكفير الأفراد، فتكفير المعين لايكون إلا بإثبات الشروط وانتفاء الموانع، وهذا سيثبته (أهل الحل والعقد).

إن قائد هذا الحزب وإمام تلك الجماعة هو رسول الله محمد ﷺ.

وأعضاء لجنته المركزية-بلغة العصر- ؛ هم :أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي.. وبقية العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم.

أما أعضاء الحزب وأفراد الجماعة؛ فهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

كتبها: ك (ع.ك).

مفاهيم خاطئة عن المنهج السلفي

الأستاذ عيسى الرجوب

يروج المناوئون للمنهج السلفي:أن المنهج السلفي منهج إقصائي حاد وعنيف يلغي الآخر، ولا يعترف به، مما يترتب عليه تقسيم البلاد، وتفتيت الأمة، وتهديد الوحدة الوطنية، والعمل على تفكيك النسيج الاجتماعي؛ مما يؤدي في النهاية إلى الاحتراب الداخلي! ولأجل ذلك يدعون إلى إقصاء المنهج السلفي، وإلى التمييع في متابعة الكتاب والسنة والسلف الصالح؛ بزعم التمكين للتعددية الثقافية والمذهبية.

وهذا بلا شك فرية بلا مرية بل أصحاب المنهج السلفي هم أهل السنة والجماعة، ودعاة الاتباع والاجتماع، فهم الحريصون على الجماعة يذمون التفرق، ويصبرون على المخالف؛ كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خطبة مصنفه في: «الرد علي الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته علي غير تأويله»؛ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم: يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم علي الناس وأقبح أثر الناس عليهم».

وقد طبق ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمليًّا مع الحكام الذين عذبوه وسجنوه وأقصوه!

وهذا مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لما اسشاره هارون الرشيد في حمل الناس

على «موطئه»؛ قال له: «لا تفعل يا أمير المؤمنين؛ فإن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار؛ فأخذ كل قوم عمن كان عندهم، وإنما جمعت علم أهل بلدي أو كما قال».

ومواقف أصحاب المنهج السلفي في ذلك كثيرة مشهورة فكيف يقال عنهم: إنهم إقصائيون؟!

وقد سُمّي السلف الصالح بأهل السنة والجماعة من حرصهم على الالتزام بالسنة ومجانبة الابتداع، وعلى الاجتماع ونبذ الفرقة.

وبهذا يظهر أن هذه مواقف أصيلة في المنهج السلفي، وليست تنازلات مؤقتة فرضتها ظروف قاهرة.

والشيء الغريب في ذلك: أن الذين يرمون الاتجاه السلفي بهذه الفرية هم من يعلنون ويطالبون بإقصاء التيار السلفي؛ فوقعوا على أم رأسهم في الإقصاء والتناقض والاضطراب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تواضع عالم من أجل نشر العلم

قال هارون بن عبد الله الجمال: جاءني أحمد بن حنبل بالليل، فدق عليَّ الباب.

فقلت: من هذا؟

قال: أنا أحمد.

فبادرت أن خرجت إليه، فمساني ومسيته.

قلت: حاجة يا أبا عبد الله؟

قال: نعم، شغلت اليوم قلبي.

قلت: بماذا يا أبا عبد الله؟

قال: جزت عليك اليوم، وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر.

لا تفعل مرة أخرى؛ إذا قعدت؛ فاقعد مع الناس.

(الجامع لأخلاق الراوي وآدب السامع) (١/٤١١)

من أحوال السلف في رمضان

الدكتور سعيد القاسمي

خص الله عز وجل شهر رمضان بخصائص، وفضله على غيره من الشهور بفضائل؛ فهو شهر نزول القرآن والكتب الإلهية، وهو شهر التوبة والمغفرة وتكفير الذنوب والسيئات، وفيه العتق من النار، وفيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتصفد الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر، وهو شهر الجود والإحسان، وهو شهر الدعاء المستجاب.

لذا فقد عرف السلف الصالح قيمة هذا الموسم المبارك؛ فشمروا فيه عن ساعد الجد، واجتهدوا في العمل الصالح طمعًا في مرضاة الله، ورجاء في تحصيل ثوابه، فقد كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم

وقال عبد العزيز بن أبي داود: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح؛ فإذا فعلوه وقع عليهم الهم: أيقبل منهم أم لا؟

وإليك يا عبد الله بعضًا من أحوال السلف في رمضان وكيف كانت همَّتهم وعزيمتهم وجدُّهم في العبادة؛ لنلحق بذلك الركب، ونكون ممن عرف حقَّ هذا الشهر، فعمل له وشمَّر

أولًا: حالهم مع قراءة القرآن:

قال الحافظ ابن رجب: «وفي حديث فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أبيها ﷺ: أنه أخبرها: «أنَّ جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنَّه عارضه في عام وفاته مرتين» متفق عليه. وفي حديث ابن عباس: «أنَّ المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلًا» متفق عليه.

فدل على استحباب الإكثار من التلاوة

في رمضان ليلًا؛ فإنَّ الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المزمل:٦]، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]»[1].

ولهذا حرص السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ على الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان فقد ذكر الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبذًا من ذلك في تراجمهم في «سير أعلام النبلاء»:

* كان الأسود بن يزيد يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليالٍ.

* كان مالك بن أنس إذا دخل رمضان يفر من الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

* كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العباد، وأقبل على قراءة القرآن.

* كان سعيد بن جبير يختم القرآن في كل ليلتين.

* كان زبيد اليامي: إذا حضر رمضان أحضر المصحف، وجمع إليه أصحابه.

* كان الوليد بن عبد الملك يختم في كل ثلاثٍ، وختم في رمضان سبع عشرة ختمه.

* كان قتادة يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاثٍ، فإذا جاء العشر ختم كل ليلةٍ.

> قال ابن رجب الحنبلي: «وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك؛ فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصًا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها؛ فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان، وهذا قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم».
> «لطائف المعارف» (ص ١٧١)

(١) «لطائف المعارف» (ص٣١٥).

* وقال الربيع بن سليمان: كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة، وفي كل شهر ثلاثين ختمة.

* كان وكيع بن الجراح يقرأ في رمضان في الليل ختمةً وثلثًا، ويصلي ثنتي عشرة من الضحى، ويصلي من الظهر إلى العصر.

* كان محمد بن إسماعيل البخاري يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة.

ثانيًا: حالهم في قيام الليل:

قيام الليل دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، وعمل الفائزين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، ويتوجهون إلى خالقهم وبارئهم؛ فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله؛ فنفوسهم قائمة بين يدي خالقها، عاكفة على مناجاة بارئها، تتنسم من تلك النفحات، وتقتبس من أنوار تلك القربات، وترغب وتتضرع إلى عظيم العطايا والهبات.

* قال الحسن البصري: لم أجد شيئًا من العبادة أشد من الصلاة في جوف الليل.

* وقال أبو عثمان النهدي: تضيَّفت أبا هريرة سبعًا؛ فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثًا: يصلي هذا، ثم يوقظ هذا.

* وكان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلى، ثم يقول: اللهم إن جهنم لا تدعني أنام؛ فيقوم إلى مصلاه.

* وكان طاووس يثب من على فراشه، ثم يتطهر، ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: طيَّر ذكر جهنم نوم العابدين.

ثالثًا: حالهم في الجود والكرم إذا أقبل شهر رمضان.

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، إنّ جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» متفق عليه.

قال المهلب: «وفيه بركة أعمال الخير، وأن بعضها يفتح بعضًا، ويعين على بعض؛ ألا ترى أن بركة الصيام ولقاء

جبريل وعرضه القرآن عليه زاد في جود النبي ﷺ وصدقته حتى كان أجود من الريح المرسلة».

وقال الزين بن المنير: «أي: فيعم خيره وبره من هو بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعم الغيث الناشئة عن الريح المرسلة ﷺ».

وقال ابن رجب: «قال الشافعي رضي الله عنه: أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداءً برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثيرٍ منهم بالصَّوم والصلاة عن مكاسبهم».

كان ابن شهاب إذا دخل رمضان؛ فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

كان حماد بن أبي سليمان يفطِّر في شهر رمضان خمس مائة إنسان، وإنه كان يعطيهم بعد العيد لكل واحد مائة درهم.

رابعًا: حفظ اللسان وقلة الكلام وتوقي الكذب.

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» أخرجه البخاري

قال المهلب: «وفيه دليل أن حُكم الصيام الإمساك عن الرفث وقول الزور؛ كما يمسك عن الطعام والشراب، وإن لم يمسك عن ذلك؛ فقد تنقَّص صيامه، وتعرض لسخط ربه، وترك قبوله منه».

٢- قال رسول الله ﷺ: «إذا أصبح أحدكم يومًا صائمًا؛فلا يرفث، ولا يجهل؛ فإن امرؤ شاتمه أو قاتله؛ فليقل: إني صائم إني صائم» أخرجه مسلم

قال المازري: «في قوله: «إني صائم» يحتمل أن يكون المراد بذلك أن يخاطب نفسه على جهة الزجر لها عن السباب والمشاتمة».

* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف». أخرجه ابن أبي شيبة

* وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: «إنّ الصيام ليس من الطعام والشراب، ولكن من الكذب والباطل

واللغو». أخرجه ابن أبي شيبة.

* قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إذا صمت؛ فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء». أخرجه ابن أبي شيبة.

* قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا كنت صائمًا؛ فلا تجهل ولا تساب، وإن جُهِل عليك فقل: إني صائم». أخرجه عبد الرزاق في المصنف.

خامسًا: أحوال السلف مع الوقت.

قال الحسن البصري: «يا ابن آدم! إنما أنت أيام إذا ذهب يوم ذهب بعضك».

وقال ابن مسعود: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزدد فيه عملي».

وقال ابن القيم: «إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها».

طبقات السلف في قيام الليل

قال ابن الجوزي: «واعلم أن السلف كانوا في قيام الليل على سبع طبقات:

الطبقة الأولى: كانوا يحيون كل الليل، وفيهم من كان يصلي الصبح بوضوء العشاء.

الطبقة الثانية: كانوا يقومون شطر الليل.

الطبقة الثالثة: كانوا يقومون ثلث الليل، قال النبي ﷺ: «أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود: كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه» متفق عليه.

الطبقة الرابعة: كانوا يقومون سدس الليل أو خمسه.

الطبقة الخامسة: كانوا لا يراعون التقدير، وإنما كان أحدهم يقوم إلى أن يغلبه النوم، فينام، فإذا انتبه قام.

الطبقة السادسة: قوم كانوا يصلون من الليل أربع ركعات أو ركعتين

الطبقة السابعة: قوم يُحيون ما بين العشاءين، ويُعسِّلون في السحر؛ فيجمعون بين الطرفين».

«التبصرة» (٢/٢٩٥)

التكفير والتضليل لا يزيد الداء إلا إعضالاً

العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني

أصبح أحدنا يتثاقل عن بضع خطوات يمشيها إلى عالم، أو يضنُّ ببضعة أفلس يبتاع بها طوابع للبريد ليكتب بها إلى عالم.

وكم من عالم أخطأ في مسألة فلم يهتم إخوانه من العلماء بأن يزوروه ويذاكروه فيها، أو يكاتبوه في شأنها، بل غاية ما يصنع أحدهم أن ينشر اعتراضه في مجلة أو رسالة يشنِّع على ذلك العالم ويجهله، أو يبدعه ويكفره، فتكون النتيجة عكس المطلوب.

وكم من مسائل يفتى فيها بمصر بشيء، وبالشام بخلافه، وفي الهند بخلاف ذلك، ولو كانت المواصلات جارية بين العلماء لما وقع هذا الخبط الشديد الذي يوسع خرق الافتراق، ويؤول إلى النزاع والشقاق.

وعلماء الدين أحوج الناس إلى التواصل والتعاون خصوصًا في العصر الذي تفشى فيه وباء الإلحاد، وقلَّت الرغبة في العلوم الدينية، بل كادت تعم النُّفرة عنها، واستغنى كل أحد برأيه.

فعلماء الدين مفتقرون إلى التعاون لإيجاد طرق تقرِّب المسافة بينهم وبين المتعلمين العلوم الحديثة، وتجلى فيها المسائل الدينية في معارض تتفق وطريق التفكير العصري، فيستطاع بذلك إيقاف الوباء عن زيادة الانتشار ومعالجة المرضى، بل والدعاية المثمرة إن شاء الله.

فأما الدواء المعروف الآن؛ وهو: التكفير والتضليل؛ فإنه لا يزيد الداء إلا إعضالًا، ومثله مثل رجل ظهر ببعض أصابعه برص فقطعه! فظهر البرص بأخرى فقطعها!! فقيل له: حنانيك قبل أن تقطع جميع أعضائك![1]

(١) «آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني» (١٥/ ٤٢١).

أنا السلفي يا أبتي !!

حسانة بنت الإمام الألباني رحمه الله

أَنَـا السَّـلَفِيُّ يَـا أَبَتِـي *** أَنَـا الْأَثَـرِيُّ ذَا سِـمَتِي!
فَدَعْوَتُنَـا مُوَافِقَـةٌ *** لِأَمْـرِ اللهِ قَـدْ صَغَـتِ!
عَلَـى وَسَـطِيَّةٍ رَتَعَـتْ *** بِـلَا نَقْـصٍ وَمَـا غَلَـتِ!
عَـلَى التَّوحِيـدِ أُسِّسَـتِ *** مِـنَ الْإِشْـرَاكِ حَـذَّرَتِ!
وَإِخْـلَاصٌ مُتَابَعَـةٌ *** لِـذِي الشَّرْطَـينِ كَـمْ دَعَـتِ!
وَمَاضِيَـةٌ عَـلَى السُّـنَنِ *** بِهَـدْيِ نَبِيِّنَـا زَكَـتِ!
بِشِرْعَتِـهِ تَشَبَّـثَتِ *** فَكَيـفَ تُـرَى تَشَـدَّدَتِ؟!
وَخَاليَـةٌ مِـنَ الْبِـدَعِ *** مِـنَ الْإِحْـدَاثِ قَـدْ صَفَـتِ!
وَمَـا مِـنْ سُـنَّةٍ هُـدِمَـا *** بِنَاهَـا ثَـمَّ عَمَّـرَتِ!
وَوَاضِحَـةٌ فَـلَا رِيَـبٌ *** كَـذَاكَ فَـمَا تَلَوَّنَـتِ!
وَرَاسِـخَةٌ كَـمَا الْجَبَـلِ *** ذُرَىٰ أَسْـلَافِنَا رَقَـتِ!
وَسَـالِمَةٌ وَنَـاجِيَةٌ *** طَـرِيقَ السُّـنَّةِ اقْتَفَـتِ!
وَسَـاطِعَةٌ كَمَـا الْقَمَرِ *** ضِيَـاءَ الْعِلْـمِ قَـدْ كَسَـتِ!
وفِـي النَّكَبَـاتِ ثَابِتَـةٌ *** عَـنِ الْإِرْجَـافِ قَـدْ نَـأَتِ!
وَلَـمْ تتَفَـرَّقِ السُّـبُلَا *** وَأَهْـلَ الزَّيـغِ فَارَقَـتِ!
فَوَالَـتْ مَـا أَحَـبَّ اللهُ *** مِـنْ أَعْـدَا تَـبَرَّأَتِ!
عَـلَى الوَحْيَـينِ لَا الأَهْـوَا *** شَـتَاتَ النَّـاسِ جَمَّعَـتِ!
حَـوَتْ إِرْثَ النَّبِـيينَ *** فَأَهْـلَ الذِّكْـرِ لَازَمَـتِ!

وَصَـوتَ الحَـقِّ مَـا كَتَمَـتْ *** صَحِيـحَ الْخُـبْرِ مَيَّـزَتِ!
وَعِنْـدَ حِمَـىٰ شَرِيعَتِنَـا *** مُوَقِّفَـةٌ بِـلَا عَنَـتِ!
مُيَسِّرَةٌ بِمَـا أَمَـرَ الْـ *** مُشَرِّعُ، مَـا تَمَيَّعَـتِ!
وَلَا صُـوَرٌ!! وَلَا قَصَـصٌ *** وَلَا بِاللَّحْـنِ فَقَّهَـتِ!
لَئِـنْ رُمِيَـتْ بِحِدَّتِهَـا *** فَقَـدْ حُظِيَـتْ بِتَزْكِيَـةِ!
فَمَـنْ يُـرْضَىٰ مِـنَ الْحَـرَسِ؟ *** سِـوَىٰ الْمِقْـدَامِ فِي الصِّفَـةِ!
مُرَابِطَـةٌ وَصَـامِـدَةٌ *** نَقَـاءَ الدِّيـنِ قَـدْ حَمَـتِ!
تَعُـودُ بِنَـا إِلَى الْبَيْضَـا *** بِتَصْفِيَـةٍ وَتَرْبِيَـةِ!
بِ: قَـالَ اللهُ ذُو الصَّمَـدِ *** وَقَـالَ رَسُـولُهُ هَـدَتِ!
وَقَـولِ صَحَابَـةٍ نُجُـبٍ *** بِفَهْمِهِـمُ تَمَسَّـكَتِ!
وَآثَـارٍ مُصَـدِّقَـةٍ *** بِإِحْـكَامٍ تَسَلْسَـلَتِ!
وَآخِـذَةٌ بِـلَا سَـرَفٍ *** عَـنِ الْفُقَهَـاءِ الارْبَعَـةِ!
وَشَـمسُ الدِّيـنِ نَاصَرَهَـا *** رَدِيفًـا لِابْـنِ تَيْمِيَـةِ!
وَيَحْمِلُهَـا جَمِيعُـهُمُ *** وَبِالأَلْبَـانِ جُـدِّدَتِ!
وَنِسْـبَتُهَا رَسُـولُ الله *** عَنْـهُ فَـمَا تَحَوَّلَـتِ!
فَعَـذْبُ الْمَـاءِ سِـيرَتُهَا *** لَعَمْـرِي إِنَّهَـا لُغَتِـي!
لَـدَىٰ سَـمْعِي لِأَحْرُفِهَـا *** كَـمَا الظَّمْـآنِ مِـنْ سَـنَةِ!
فَيَـا فَرَحِـي بِعِزَّتِهَـا *** بِقَلْبِـيَ قَـدْ تَرَبَّعَـتِ!
فَـلَا لَـنْ لَـنْ أُفَارِقَهَـا *** مَـدَى الأَعْـوَامِ مَـا أَتَـتِ!
وَأَرْجُـو الـرَّبَّ تَثْبِيتِـي *** عَلَيهَـا حُسْـنُ خَاتِمَتِـي!
فَـذِي نَهْجِـي وَمُعْتَقَـدِي *** لِحُـبِّ اللهِ! يَـا أَبَتِـي!

منهج السلف في التعاون على البر والتقوى ونماذج تطبيقية من حياتهم

الدكتور سامي الكيالي

يعد التعاون على الخير فريضة شرعية وضرورة اجتماعية، لا يستطيع الناس الاستغناء عنها، ولذلك قال ابن خلدون في «المقدمة» (ص ٥٤-٥٥):

«إن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطبع؛ أي: لا بد له من الاجتماع، وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته، وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه».

ويتبين ذلك جليًّا في وصية رب العالمين: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات، وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم»[1].

ولذلك حثّ نبينا ﷺ على التعاون:

١- روى الشيخان عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ؛ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه.

٢- روى مسلم عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ١٨).

المؤمنين في توادّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه»(٢).

٣- روى الشيخان عن أم عطية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرج في الفطر والأضحى، العواتق، والحيض، وذوات الخدور، فأما الحيض؛ فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين»، قلت: يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: «لتلبسها أختها من جلبابها».

وبذلك تواترت أقوال السلف الصالح في الحض على التعاون:

١- قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم؛ فإنهم زين في الرخاء، وعدة في البلاء»(٣).

٢- قال عطاء بن أبي رباح: «تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكروهم»(٤).

٣- قال بعض الحكماء: «فضيلة الفلاحين التعاون بالأعمال، وفضيلة التجار التعاون بالأموال، وفضيلة الملوك التعاون بالآراء والسياسة، وفضيلة العلماء التعاون بالحكم الإلهية، والفضيلة المشتركة بين الأصناف الأربعة هي التعاون على ما يصلح به المعاش والمعاد»(٥).

صور من تعاون النبي ﷺ:

١- روى الشيخان عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلًا كثير الشعر، وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحة:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٨/ ٣٨٥).
(٣) «الإخوان» لابن أبي الدنيا (٣٥).
(٤) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٧٦).
(٥) «الكشكول» لبهاء الدين الهمذاني (٢/ ٢٨٩).

فـأنـزلـن سكيـنةً علـيـنا
وثبّت الأقدام إن لاقينا
إن الأعداء قد بغوا علـينا
إذا أرادوا فتـنـةً أبيـنـا
يرفع بها صوته.

٢- روى مسلم عن أبي سعيد الخدري؛ قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالًا ، فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.

قال النـووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذا الحديث الحث على الصدقة والجود والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب والاعتناء بمصالح الأصحاب»(٦).

٣- روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير».

صور من تعاون الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

١- روى الشيخان عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة: جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية؛ فهم مني وأنا منهم».

أبواب التعاون:

١- التعاون على إقامة العبادات:

قال موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لبعض أصحابه:

«انظـروا -رحمكـم الله- واعقلـوا وأحكمـوا الصـلاة، واتقـوا الله فيهـا، وتعاونـوا عليهـا، وتناصحـوا فيهـا بالتعليـم مـن بعضكـم لبعـض، والتذكير مـن بعضكـم لبعـض مـن الغفلـة والنسـيان؛ فـإن الله عـز وجـل قـد أمركم أن تعاونـوا على الـبر والتقـوى، والصلاة أفضـل الـبر»(٧).

(٦) «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٢٧٥).

(٧) «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٥٤).

٢- التعاون على قيام الليل:

كان أهل البيت الواحد من سلفنا الصالح يتعاونون على قيام الليل:

روى البخاري عن أبي عثمان النهدي؛ قال: «تضيفت أبا هريرة سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثًا: يصلي هذا، ثم يوقظ هذا»

٣- التعاون في طلب العلم:

روى الشيخان عن عبدالله بن عباس عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك...».

٤- التعاون بين المسؤولين:

روى الشيخان: أن النبي ﷺ بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن؛ قال: «يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا».

فوائد التعاون:

١- التعاون يساعد في إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد.

٢- التعاون يساعد على مواجهة الأخطار المحيطة بالإنسان.

٣- التعاون أساس التقدم والانتاج والنجاح والتفوق.

٤- التعاون ينزع الحقد من القلوب الضعيفة، ويزيل أسباب الحسد.

٥- التعاون سبب من أهم أسباب الألفة والمحبة بين الناس.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمونهم السُّورةَ من القرآن».

«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (رقم ٢٣٢٥).

سُئل الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ:

هل حب أبي بكر وعمر سُنّة؟.

قال: «لا، بل فريضة».

«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (رقم ١٨٨).

أخلاقنا واقعية

الأستاذ أحمد عبد العزيز الفواز

إن المتأمل لواقعنا على الصعيد الأخلاقي يرى العجب العجاب، وإذا ما تساءلنا ما هو السبب الحقيقي لفساد الأخلاق وانحلالها؟ الجواب هو فصل الدين عن معاملاتنا في واقعنا فالدين أخلاق كما الأخلاق دين؛ لذلك كان ولابد من إثبات هذه القاعدة المهمة، والحديث عنها وبيانها، فجاءت هذه الكلمات تبين وتوضح بتأصيل وتفصيل للحاجة إليها في هذا الزمان، الذي تخلى الكثير عن الدين؛ فانحلت الأخلاق وقد كان خير مثال للأخلاق عمليًّا ودينيًّا هو رسولنا ﷺ الذي خاطبه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فالأخلاق هي مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، ومن خلالها يحسن الفعل أو يقبح؛ فيقدم عليه أو يتركه، ولا يستقيم ذلك إلا بمنهجية الدين التي هي الوسطية السمحة بلا غلو ولا إفراط.

ومن هنا نستنبط أن الدين أخلاق قبل أن يكون عبادة، والخلق سلوك عملي للإسلام فهو ليس فكر تنظيري؛ إنما منهج مرتبط رباني لا يستقيم الدين إلا به فالدين علم غيب رباني، والأخلاق تدور حول الإنسان إن استقام الدين فيه استقامت أخلاقه ، فكما العقيدة والفقه مهمان، وكما الخير والشر بينهما صراع كبير ومهمان، فكذلك الأخلاق في الدين الأهم، فالعلاقة بين الأخلاق والدين قوية جدًا، وقد جاء رسولنا بالدين ليكملها وهو القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1]، والتي ما

(١) رواه أحمد ومالك والبخاري في «الأدب المفرد» بإسناد حسن.

جاء نبي من الأنبياء ولا رسول من الرسل صلى الله عليهم وسلم أجمعين إلا وكانت رسالته ودينه حظها من الدين النصيب الأكبر، فلا دين بلا أخلاق، فلذلك كانت الأخلاق المحمودة الواجب التحلي بها، والبعد عما يضادها من السلوك الفاسد؛ فهي بواعث في البشر يحركها ويعبر عنها الشخص بناء عما تربى عليه في بيته ومجتمعه وبيئته.

ومما يجب أن نتعلمه أن الدين حقيقة ربانية واقعية أصلها إلهي تعترف بقيمة الدين؛ لأنه وحي لا مجال للشك فيه؛ لأنه من مصدر كامل فهو كامل ، وأما الأخلاق فهي قيمة، والدين يدعمها يؤثر في الإنسان ليعطيه الجوهر في التواصل مع بني جنسه، فهو متذبذب حسب البيئة يمكن أن تصلح ويمكن أن تفسد، فالدين أساس للأخلاق يوفر القيم والقوانين التي تعبر عن تواصل إجتماعي منضبط بالدين، فالأخلاق إن خرجت عن إطار الدين أصبح صراع أزلي في إطار المجتمعية أن استقامت مع الأزلية استقامت وفي إطار المجتمعية وحدها انحرفت، وبين الخطأ والصواب يكمن فهم قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وهذا ما جعل رسولنا يعلمنا أفعل كذا ولا تفعل عن كذا؛ لأن الدافع الديني المنضبط بالأخلاق هو الدافع الحقيقي لاستقامة الدين، لذلك حرم الوشم والسب والشتم وقلة الحياء والزنا وكل ما يضاد الأخلاق الطيبة، فالأخلاق تضبط السلوك للفرد والحياء أعظم الأخلاق، فالأخلاق دين خالص، ولا يمكن أن ينفصل عن الدين؛ لأنه واقعيًّا حقيقيًّا لا دين بلا أخلاق، ومن هنا الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١] فإذا أردنا التغيير فلا بد من الرجوع إلى الدين ليرجع الخلق في مجتمعنا المنحل وليستقيم واقعنا وأخلاقنا وديننا ونصل إلى النصر والعز والتمكين فالتغيير بالأخلاق، فالمنهيات في شرعنا كثير لا تحصى وكلها تدعو لحسن الخلق وترك سوء الخلق؛ فالصدق مثلًا خلق محمود: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ومرادفة الكذب الخصلة الذميمة التي تنافي الأخلاق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر: ٢٨]، وقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تدل على حسن الأخلاق وتنهى عن شرورها؛ ولتثبت علاقة الدين بالأخلاق، وإن صلاح الواقع والحاضر والمستقبل بصلاح الدين والاستقامة عليه وتطبيقه؛ فتستقيم الأخلاق ويصلح الواقع والمجتمع والحياة ومن أشهرها سورة الحجرات التي تؤسس المجتمع المسلم على الأخلاق الفاضلة، وسورة المؤمنون التي تدعو إلى الأخلاق والنهي عن سيئها، وسورة الأنعام التي دعت إلى عدم الشرك والأخلاق الذميمة ودعوتها للأخلاق، وفي سورة الفرقان تصف عباد الرحمن بأخلاقهم ويتمثل روعة الدين وارتباطه بالأخلاق بحثه على التعاون على البر والتقوى والنهي عن الإثم والعدوان والنهي عن الظلم؛ لأنه ظلمات ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، ولذلك نهي عن القول بغير علم، والنهي عن التكبر، والنهي عن الإسراف والتبذير، وكل ما يحط من قيمة البشر وينزل من مستواه الاجتماعي، لذلك هذا يدفعنا إلى التمسك بالدين أساس الأخلاق وسبيلها لمرضاة الله وطريق النصر والعز والتمكين، ونحن لا ننسى أشهر ما جاء في سنة رسولنا ﷺ في قوله: «إن أحبكم إلي وأقربكم إلى يوم القيامة مجلسًا أحسنكم خلقًا»[٢].

من خلال ما تقدم يظهر لنا أن الأخلاق لا تنفصل عن الدين، وهي من الدين، وأن أردنا تحقيق الأخلاق التي اضمحلت من مجتمعنا لابد من إقامة الدين والتوبة والرجوع إليه، فكلما قوي الدين والإيمان استقامت الأخلاق، وكانت واقعية الأمة على السلامة والخير عند ذلك بإجتماع الأخلاق والدين تستقيم واقعية المسلمين، فابشروا عند ذلك بالنصر والعز والتمكين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على النبي الأمي الأمين وآله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين أمين.

(٢) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.

منهج السلف الصالح في التلقي والاستدلال

الدكتور ياسر القدسي

ليس من شك أن المنهج السلف في التلقي والاستدلال أصلح وأسلم، وأعمق وأحكم؛ فقد عايشوا الوحي والتنزيل؛ فكانوا لذلك أعلم الأمة بالتفسير والتأويل، فهم من شهد الله لهم بالخيرية، وأمرنا باتباع سبيلهم، وحذَّر من اتِّباع السُّبل التي تفرَّق بأصحابها عن الصراط المستقيم؛ فقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

ولما أظلمتِ السُّبل، وكثرت الفتن، وظهرت الفرق، واتُّخذت الأدلة مركبًا للأهواء والبدع، كانت راية السلف مرفوعة، يتناولها الخلف بعد السلف: ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ومما أعانهم على ذلك أنهم يتميزون عن غيرهم بمنهج في التلقِّي والاستدلال له قواعده المحكمة، فكانت كالسراج لمن جاء بعدهم، واهتدى بهديهم، وسلك سبيلهم، وهاأنذا أذكرها بعبارة وجيزة توفي بالمقصود، من غير إخلال ولا إملال، في ثماني قواعد، وهي:

◆ القاعدة الأولى: اقتصارهم في مصدر التلقِّي على الوحي كتابًا وسنة:

فأهل السُّنة يؤمنون بجميع نصوص

الكتاب والسنة الصحيحة، فالحجَّة في كلام الله تعالى، وفيما صح من سنة النبي ﷺ وهما يكفيان لجميع متطلبات الحياة في جميع شؤونها وجوانبها إلى قيام الساعة.

وقد تمثلت هذه القاعدة في عدة ركائز:

أ- أن هذا الدِّين كامل، لا يحتاج معه إلى غيره من مناهج البشر؛ قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

يقول شيخ الإسلام: «ومثل هذا في القرآن كثير، مما يبيِّن الله فيه أن كتابه مبين للدِّين كله، موضح لسبيل الهدى، كافٍ لمن اتبعه، لا يحتاج معه إلى غيره، يجب اتِّباعه دون اتباع غيره من السُّبل»(١).

ب- الاعتقاد الجازم أنه لا يتحقَّق رضا الله، والفوز بجنته، والنجاة من عذابه، إلا بالإيمان بنصوص الكتاب والسنة، والعمل بما جاءا به، وما يترتَّب على هذا من وجوب أن يعيش المسلم حياته كلها -اعتقادًا، وعملًا، وسلوكًا- مستمسكًا ومعتصمًا بهما، لا يزيغ عنهما، ولا يتعدَّى حدودهما، ومن مستلزمات هذا أن يتحاكم إليهما عند التنازع والاختلاف، فنصوص الكتاب والسنة هي الأصل والميزان والحكم عند النزاع، وبها توزن الأقوال والآراء؛ كما قال - تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

يقول شيخ الإسلام: «فدين المسلمين مبنيٌّ على اتِّباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتَّفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة»(٢).

ت- وجوب تقديم الشرع على العقل عند توهُّم التعارض، وإلا ففي الحقيقة والواقع لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح.

يقول شيخ الإسلام: «إن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وإن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١٠/ ٣٠٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٦٤).

وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه»[٣].

ث- الأدب مع نصوص الكتاب والسنة وذلك بأن تراعى ألفاظها عند الاستدلال، وألاَّ تستخدم الألفاظ والمصطلحات الموهمة غير الشرعية.

يقول شيخ الإسلام: «إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث، فلا يأتون بلفظ محدثٍ مبتدع؛ بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول»[٤].

ويقول أيضًا: «ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث، إذا عرف تفسيرها، وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة، ولا غيرهم»[٥].

◆ القاعدة الثانية: عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة، والاقتصار على ما في الكتاب والسنة:

وقد تجلَّى هذا في منهج السلف من خلال عدة أمور:

أ- حرص السلف على العلم النافع مع العمل الصالح؛ فالعلم علمان: علم نافع، يولِّد عملًا، وينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وعلم غير نافع، لا ينفع صاحبه في الدنيا ولا في الآخرة.

يقول ابن رجب: «فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد والرقائق والمعارف، وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولًا، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل»[٦].

ب- نهي السلف عن سائر البدع، ومن ذلك الخوض في علم الكلام:

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٣١ - ٢٣٢).
(٤) «مجموع الفتاوى»(٥/ ٤٣٢).
(٥) «الإيمان»، لابن تيمية، (ص: ٢٧١، ٢٧٢).
(٦) «فضل علم السلف على علم الخلف»، لابن رجب، (ص: ١٥٠).

قال الشافعي: «لأن يلقى اللهَ العبدُ بكل ذنبٍ ما خلا الشرك، أحبُّ إليَّ من أن يلقاه بشيء من الأهواء»[٧].

وقال أيضًا: «حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام»[٨].

وقال أبو يوسف القاضي: «من طلب الدِّين بالكلام تزندق»[٩].

وقال أحمد بن حنبل: «ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح»، وقال أيضًا: «علماء الكلام زنادقة»[١٠].

ت- الرد على المنحرفين وأصحاب الأهواء بمنهج متميز.

فالسلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ لما حذروا من المنطق ومن علم الكلام، لم يكتفوا بهذا؛ بل ردُّوا على أصحاب البدع بالأدلة النقلية والعقلية المبنيَّة على الكتاب والسنة، فالسلف لم ينهوا عن جنس النظر والاستدلال؛ ولكن معارضتهم لها تركزت على الأساليب الكلامية المبنية على غير الكتاب والسنة.

◆ القاعدة الثالثة: حجية السنة في العقيدة والأحكام الشرعية على حد سواء، ومن ذلك خبر الآحاد:

وهذه من القواعد العظيمة في منهج السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ تميَّزوا بها عن كثير من أهل الأهواء والبدع.

يقول شيخ الإسلام: «أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة»[١١].

وقد كان اعتمادهم على السنة، وتعظيمهم لها، مبنيًّا على أمور، منها:

أ- أن من مقتضيات شهادة أن محمدًا رسول الله، التي لا يتم الإيمان إلا بها:

(٧) رواه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٤٥٢).
(٨) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٤)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ١٤٧).
(٩) «الإحياء» (١/ ١٦٤)، و«درء التعارض» (٧/ ١٥٨)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٤٥)، و«الحجة في بيان المحجة» (ص: ١٣).
(١٠) القولان في «الإحياء» (١/ ١٦٤)، وفي «درء التعارض» (٧/ ١٤٧) القول الأول فقط.
(١١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٦).

وجوب تصديقه فيما أخبر، سواء كان عن الله، أو صفاته، أو مخلوقاته، أو ما يستقبل من أمور الآخرة، وغيرها من الغيبيات.

ب- إن أعلم العباد بما يصلح لهم هو رسولُ الله ﷺ وهو أرحم بهم من أنفسهم.

ت- أن الرسول بلَّغ جميع ما أنزل إليه من ربه، لم يكتم شيئًا من ذلك، وأنه ﷺ قد بلَّغ ذلك أتمَّ بلاغٍ وأبينه، حتى ترك أمَّته على بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فما من خير إلا ودلَّ أمته عليه، وما من شر إلا وحذَّرها منه.

وقد تمثَّلت هذه الأمور السابقة في موقف السلف من السنة، وتعظيمهم لها، وذلك بكونها وحيًا من الله تعالى، وبكونه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وبدا هذا واضحًا من خلال:

١- الخضوع لحديث الرسول ﷺ إذا صحَّ، وتعظيمه، وعدم الاعتراض عليه بأي نوع من أنواع الاعتراض، فلا تحلُّ معارضته بذوقٍ، أو وجدٍ، أو رأي، أو قياس، أو عُرْف، أو هوى ... إلخ.

يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم أسمع أحدًا نسبه الناس -أو نسب نفسه- إلى علمٍ يخالف في أن فرض الله عز وجل اتِّباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه، بأن الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال، إلا بكتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ وأن ما سواهما تبع لهما، وأنَّ فرض الله تعالى علينا، وعلى من بعدنا وقبلنا، في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد»(١٢).

٢- اعتمادهم على الأحاديث الصحيحة، ونبذ الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فأوجبوا التحقق من الأحاديث قبل الاحتجاج بها؛ حتى لا ينسب إلى دين الله ما ليس منه.

٣- حجية خبر الآحاد في العقيدة، إذا صحَّ وتلقته الأمة بالقبول(١٣)، وهذا من المعالم الرئيسة لمنهج السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والقول بأن أخبار الآحاد

(١٢) «إيقاظ الهمم» (ص: ١٠٤) [«الأم» (٧/ ٢٧٣)].

(١٣) ولا نناقش دعوى حديث آحاد لم يحتفَّ بالقرائن في باب العقائد؛ لأنها دعوى متوهمة، ليس عليها مثال واحد في هذا الباب.

لا تفيد العلم، ومن ثم فلا يحتجُّ بها في العقيدة، بدعة أحدثتها المعتزلة، وتلقَّفها بعض العلماء من المنتسبين إلى السنة -دون بحث أو تمحيص لمآلات هذه المقالة- وخاصة في كتبهم في أصول الفقه في مباحث أدلة الأحكام، بينما لو تتبعنا نصوص السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، لوجدنا شبه إجماع منهم على عدم التفريق في أخبار الآحاد بين الأحكام والعقائد، وأنها تفيد العلم.

يقول شيخ الإسلام: «فالخبر الذي تلقَّاه الأئمة بالقبول، تصديقًا له، أو عملًا بموجبه، يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف، وهذا في معنى المتواتر»(١٤).

يقول ابن أبي العز: «وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملًا به، وتصديقًا له، يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»(١٥).

فلم يكن السلف الصالح يفرِّقون بين خبرٍ عن رسول الله ﷺ وآخر، بدعوى أنه آحاديٌّ، أو متكاثر الورود، تفريقًا يؤثِّر في العمل والعلم والاعتقاد، واستمرَّ هذا عند السلف الصالح، أهل الحديث والأثر، إلى يومنا هذا، وإلى أن يشاء الله، يدلُّ على هذا تخريج أئمة أهل السنة كمالك وأحمد، والبخاري ومسلم، وأبي داود والترمذي، والنسائي والدارمي، وغيرهم، للأحاديث المثبتة للعقائد في مدوناتهم، فمتى صح الحديث، وتلقِّي بالقبول، وجب العمل والاعتقاد به ولزم.

◆ القاعدة الرابعة: الاعتماد على فهم الصحابة والتابعين:

فالصحابة أعلم الناس بعد الرسول ﷺ؛ لذلك فأقوالهم وتفاسيرهم للنصوص حجة؛ لأنهم قد اكتمل فيهم الفهم والمعرفة لأصول الدِّين التي دل عليها كتاب الله المنزل، وسنة رسوله ﷺ المطهرة.

قال أحمد بن حنبل: «أصول السنة

(١٤) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٤٨).
(١٥) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص: ٣٣٩، ٣٤٠).

عندنا: التمسك بما عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة»[١٦].

قال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفُّوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم»[١٧].

قال ابن رجب: «فمن عرف قدر السلف، عرف أن سكوتهم عمَّا سكتوا عنه من ضروب الكلام، وكثرة الجدل والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة، لم يكن عيًّا، ولا جهلًا، ولا قصورًا؛ وإنما كان ورعًا، وخشية لله، واشتغالًا عما لا ينفع بما ينفع»[١٨].

ولقد تميَّز فهم الصحابة بعدة مميزات، أهمها:

أ- أنهم شاهدوا التنزيل، وعاشوا مع النبي ﷺ وهو يتلقَّى هذا الوحي من ربِّه، الذي ينزل عليه مفرَّقًا حسب الوقائع والأحداث.

ب- أنهم أكثر الناس فهمًا لرسالته ﷺ وما يتعلَّق بها من أحكام، سواء في العقيدة أو الشريعة، فهم العارفون بدقائقها، المدركون لحقائقها، وهم أكمل الناس علمًا وعملًا.

ت- لم يكن بينهم خلاف في أصول الاعتقاد التي تلقَّوها عن النبي ﷺ.

ث- كان الصحابة يسألون عما يشكل عليهم، وهذا مشهور عنهم رضي الله عنهم فأمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها روي عنها أنها «كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه، إلا راجعت فيه؛ حتى تعرفه»[١٩].

◆ القاعدة الخامسة: التسليم لما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل دوره الحقيقي:

وذلك بعدم الخوض في الأمور الغيبيَّة التي لا مجال للعقل في معرفتها، فنحن

(١٦) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي (١/ ١٥٦).

(١٧) «ذم الكلام»، للهروي، (ص: ٣١٥).

(١٨) «فضل علم السلف على علم الخلف»، لابن رجب، (ص: ٥٨).

(١٩) رواه البخاري (١٠٣، كتاب العلم، باب: من سمع شيئًا فلم يفهمه، فراجع فيه حتى يعرفه).

لا ننكر دور العقل؛ فهو مناط التكليف، ولكن نضعه من المكانة حيث وضعه الشرع.

فهو -كما قال شيخ الإسلام عنه-: «شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلًّا بذلك، لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتَّصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه، لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية، كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق، كما قد يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجِز العقل عن دركه، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه»[٢٠].

◆ القاعدة السادسة: عدم تقديم مقالات مبتدعة، ومقدمات عقلية، وجعلها حاكمة على النص:

لم يكن السلف يتلقَّون النصوص ومعهم مقدمات عقلية يحاكمون النصوص إليها، كما فعلت المعتزلة وغيرهم، الذين وضعوا مقالاتٍ مبتدعةً، ووصفوها بأنها أصول عقلية، ثم جاؤوا إلى القرآن والسنة وما فيهما من دلالات في الاعتقاد، فما وجدوه مخالفًا لشيء من مقالاتهم، أوَّلوه أو أنكروا الاحتجاج به، وقدَّموا عليه مقالاتهم وأقوال أئمتهم، وجعلوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وراءهم ظهريًّا.

يقول شيخ الإسلام -واصفًا أهل السنة والجماعة-: «ولا ينصرون مقالةً ويجعلونها من أصول دينهم، وجمل كلامهم، إن لم تكن ثابتةً فيما جاء به الرسول ﷺ بل يجعلون ما بعث به الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة، هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه»[٢١].

ويقول أيضًا: «هم أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام

(٢٠) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٣٨، ٣٣٩).

(٢١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٧).

غيره من كلام أصناف الناس، ويقدِّمون هدي محمدٍ ﷺ على هدي كلِّ أحدٍ، ويتَّبعون آثاره ﷺ باطنًا وظاهرًا»[٢٢].

◆ القاعدة السابعة: الجمع بين أطراف الأدلة:

فلا بد من الرجوع إلى النصوص الواردة في مسألة معيَّنة وجمعها، وعدم الاقتصار على بعضها، فجمع النصوص: يفصِّل المجمل، ويبيِّن المبهم، ويرفع التشابه، ويحكم النص، ويفسر النص على مراد الله ومراد رسوله ﷺ لا على أهواء البشر وآرائهم.

قال أحمد بن حنبل: «الحديث إذا لم تجمع طرقه، لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا»[٢٣].

يقول الشاطبي: «ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضمِّ أطرافها بعضها لبعض؛ فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة، بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها»[٢٤].

◆ القاعدة الثامنة: ردُّ المتشابه للمحكم وليس العكس كما هو عادة أهل البدع:

اتَّفق أهل السنة والجماعة على: «موافقة طريقة السلف من الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث والفقه؛ كالإمام أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، وإسحاق، وغيرهم، وهي ردُّ المتشابه إلى المحكم، وأنهم يأخذون من المحكم ما يفسِّر لهم المتشابه ويبيِّنه لهم، فتتفق دلالتهم مع دلالة المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضًا، ويصدِّق بعضها بعضًا؛ فإنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله، فلا اختلاف فيه ولا تناقض؛ وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره»[٢٥].

(٢٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٧).
(٢٣) «الجامع لأخلاق الراوي»، للخطيب البغدادي (٢/ ٢١٢).
(٢٤) «الموافقات» (١/ ٢٤٥، ٢٤٦).
(٢٥) «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٩٤).

فالمعيار لمن أراد صحة الانتساب لمنهج السلف الصالح، والسير على دربهم، والاقتداء بهديهم: أن يتبع منهجهم، سواء في أصول التلقي، أو أصول الاستدلال، ولا يخرج عن نهجهم بأصول في التلقي مبتدعة، أو أصول في الاستدلال منحرفة.

اللهم ارزقنا اتباعهم، واحشرنا في زمرتهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

العقيدة السلفية : عقيدة أهل السُّنة والجماعة؛ عقيدة أجمع عليها الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان، ليست عقيدة ابن تيميَّة، ولا عقيدة ابن القيم، ولا أحمد بن حنبل؛ بل هي عقيدة الصدر الأول من السلف الصالح.

ولكن شيخ الإسلام ابن تيميَّة جمع كثيرًا من النقول، وهذَّب ورتَّب ورد على أهل البدع والأهواء في قضايا حدثت بعد الصدر الأول، فأجاد في رد الشبهات وعرض المسائل.

وتكون المسألة هي عقيدة السلف الأول، لكن شيخ الإسلام ابن تيميَّة يحسن عرضها، ويحسن الدفاع عنها بعرض الشبهات الواردة عليها، ثم نقضها شبهة شبهة، وكذا ابن القيم .

ولكن أهل البدع ينسبون العقيدة السلفية إلى ابن تيمية وابن القيم وغيرهم من العلماء للتنفير منها وإبعاد المسلمين عنها.

تسويق التصوف بديلًا عن الإسلام الصحيح
مسلسل الحلاج أنموذجًا

الدكتور سليم خليفة الشنقيطي

تم تصوير مسلسل تلفازي عن (الحلّاج) بنية عرضه خلال (شهر رمضان القادم ١٤٤٠ هجري)، وهذا المسلسل خطوة في طريق تسويق التصوف بين عامة الناس على أن الصوفية هي البديل المدعوم دوليًّا في هذه المرحلة الحرجة من حياة الأمة الإسلامية!.

- لماذا الحلاج الآن؟
- ومن هو الحلاج هذا؟
- وما هي عقيدته؟
- وما هي أقوال أهل العلم فيه؟

١- لماذا الحلاج الآن؟

- سهولة استمالة عوام الناس، وذلك بنشر سحره، وحيله، وخدعه، وتمويهاته تحت ستار الكرامات.

- له قبول عند عامة المستشرقين وأفراخهم؛ لأن اعتقاده قريب من اعتقاد النصارى، ويتكلم بكلامهم، ولذلك يظهرونه على أنه قتل مظلومًا.

- يعد مرجعًا للصوفية المعاصرين الذين بالغوا في الثناء عليه.

وبما أنه حصل زواج كاثوليكي بين الأمريكان والصوفية؛ فقد عزموا على بعث التراث الصوفي من جديد.

٢- من هو الحلاج هذا؟

هو الحسين بن منصور الحلاج، صوفي فيلسوف، أصله من بيضاء فارس. وكان

جده مجوسيًا.

نشأ الحسين بتستر فصحب سهل بن عبد الله التستري، وصحب ببغداد الجنيد وغيره، ولم يصحح حاله من الصوفية غير أبي العباس بن عطاء، ومحمد بن خفيف، وإبراهيم أبو القاسم النصرآبادي[1].

وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لسوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة[2].

ومعنى هذا الكلام من الخطيب والذهبي: أن أحدًا من الأئمة المعتبرين لم يزك الحلاج؛ لأن هؤلاء الثلاثة المذكورين في تزكيته ليس الحلاج بأسوأ حالًا منهم، حتى قال الشيخ عبد القادر السندي في وصف هؤلاء الثلاثة: «هم أسوأ حالًا وأشد تنكيلًا، وأعظم فرية فيما كان فيه الحلاج من الكفر والإلحاد والزندقة والسحر والشعبذة»[3].

عاش بين الناس محتالًا يظهر مذهب الشيعة للملوك، ويظهر مذهب الصوفية للعامة، وهو في تضاعيف ذلك يدعي حلول الإله فيه تعالى وتقدس عما يقول[4].

السيناريست خلدون قتلان الذي أنجز عشرين حلقة من المسلسل في مقابلة معه، لصحيفة الأخبار اللبنانية، قال شارحًا ميول قناة أبو ظبي أنها ترغب في تصدير شخصية صوفية في إطار مسلسل درامي، وهذه العملية تبييض ملفات. فكما يتم تبييض الأموال غير المشروعة، تغسل أيضًا الأفكار وتنظف وتقدم في إطار جديد.

وهي محاولة لتلميع الفكر السياسي الذي دعم الإرهاب في مرحلة ما.

ومن الطبيعي أن يكون هناك أهداف سياسية وراء هذا العمل.

(١) «تاريخ بغداد» (٨/ ١١٢)، و«السير» (١٤/ ٣١٤)

(٢) «السير» (١٤/ ٣١٤).

(٣) «التصوف في ميزان البحث والتحقيق» (ص ٦٣٦).

(٤) «السير» (١٤/ ٣١٨).

٣- ما هي عقيدته؟

قال تارة: بأنه الله صراحة، وأخرى: بحلول اللاهوت في الناسوت[٥].

واستمر الحلاج في نشر فكره الحلولي حتى استفحل أمره؛ فألقي القبض على بعض أصحابه، فوجد عندهم كتب تدل على ما قيل عنه، وانتشر خبره، وتكلم الناس في قتله، فسلمه الخليفة المقتدر إلى وزيره، فأمر أن يناظر ويناقش بحضرة القضاة، وأن يجمع أصحابه معه لهذا الغرض، فجرت في ذلك خطوب، ثم تيقن السلطان أمره، فأمر بقتله وإحراقه لسبع بقين من ذي القعدة سنة (٣٠٩هـ)، فضرب بالسياط نحوًا من ألف، وقطعت يداه ورجلاه، وضرب عنقه وأحرق بدنه ونصب رأسه للناس، وعلقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه[٦].

هكذا عاش الحلاج حلوليًّا داعيًّا إلى نحلته بكل ما له من مكر ودهاء، ولكن سلطان السنة كان قويًّا في نفوس حكام ذلك العصر، فقيض الله له من يقيم عليه جزاءً وفاقًا لائقًا بكل من يحاول النيل من مقام الربوبية والألوهية، ولكن ما هو فكره الذي تحمس له حتى ذهب ضحيته؟ ذلك الفكر الذي لا زال ساري المفعول عند معتنقيه فينشرونه بألسنة قوالة وأقلام سيالة إلى يومنا هذا.

٤- نماذج من فكره:

لخص ابن حوقل النظرية الحلاجية؛ فقال: «ظهر من فارس الحلاج ينتحل النسك والتصوف، فما زال يترقى طبقًا عن طبق حتى آل به الحال إلى أن زعم: أنه من هذب في الطاعة جسمه، وشغل بالأعمال قلبه، وصبر على اللذات، وامتنع عن الشهوات، يترق إلى درج المصافاة حتى يصفو عن البشرية طبعه، فإذا صفا حل فيه روح الله الذي كان منه إلى عيسى، فيصير مطاعًا يقول للشيء: كن فيكون، فكان الحلاج يتعاطى ذلك يدعو إلى نفسه حتى استمال جماعة من الأمراء والوزراء وملوك الجزيرة والجبال والعامة»[٧].

(٥) «السير» (١٤/ ٣٢٧).
(٦) «السير» (١٤/ ٣٣٥-٣٣٦).
(٧) «السير» (١٤/ ٣٤٧).

وهذا يمثل طريقة سير الصوفية في الجملة: التدرج في الرياضات الصوفية رغبة في الوصول إلى الحلول أو الاتحاد أو الوحدة، وإن عبروا عنها أحيانًا بعبارات أخرى موهمة كالفتح والكشف والمعرفة.

وحتى تتبين صورة الفكر الحلاجي الصوفي ننتقل إلى بعض أقواله في تقرير مذهبه:

١- يقول الحلاج[٨]:

سبحان من أظهر ناسوته
سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرًا
في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه
كلحظة الحاجب بالحاجب

في هذه الأبيات تقرير واضح لحلول اللاهوت في الناسوت، الذي جعل من هذا الآكل الشارب مجرد صورة بشرية حلت فيه الروح الإلهية.

٢- وحكى الحلاج مناظرة جرت بينه وبين إبليس وفرعون، فقال: «تناظرت مع إبليس وفرعون في الفتوة؛ فقال إبليس: إن سجدت سقط عني اسم الفتوة، وقال فرعون: إن آمنت برسوله سقطت من منزلة الفتوة، وقلت أنا -أيضاً- إن رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة، وقال إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١٢] حين لم ير غيرًا، وقال فرعون. ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] حين لم يعرف في قومه من يميز بين الحق والباطل، وقلت أنا: إن لم تعرفوه؛ فاعرفوا آثاره، وأنا ذلك الأثر، وأنا الحق، لأني مازلت أبدًا بالحق حقًا، فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون، وإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة أبدًا، وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يداي ورجلاي ما رجعت عن دعواي»[٩].

فأنت ترى كيف زعم: أن إبليس إنما لم يسجد لله لاعتقاده عدم الغيرية، وأن فرعون لم يتبع موسى عليه السلام

(٨) «الأعمال الكاملة» (الديوان ص٢٩١).

(٩) «الطواسين» (ص ٥١-٥٢).

لإسقاطه الوسائط، ومعناه عندهم في أخف الأحوال: الأخذ عن الله بالمباشرة، ومعناه الآخر: نفي التعددية وهو المقصود هنا قطعًا. كما جعل منهما مثله الأعلى في التمادي على الغي والضلال، وهذا النص مما يؤكد أن الحلاج لم يرجع عن عقيدة الحلولية حتى مات، بل لم يزل يدعو إليها حتى وهو أمام خشبة الصلب حيث كان يقول لأصحابه وهو على تلك الحالة: «لا يهولنكم ما ترون؛ فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يومًا».

قال الحافظ الذهبي: «فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج ممخرق كذاب حتى عند قتله»[١٠].

٣- ومما صرح فيه بعقيدته -أيضًا- ما حكاه الخطيب بإسناده والذهبي من طريقه عن أبي بكر بن ممشاد قال: «حضر عندنا بالدينور رجل معه مخلاة لا يفارقها ليلاً أو نهاراً، ففتشوها فوجدوا فيها كتابًا للحلاج عنوانه: «من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان» فوجه على بغداد وعرض عليه، فقال: هذا خطي وأنا كتبته، فقالوا: كنت تدعي النبوة صرت تدعي الربوبية؟ قال: لا، ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله وأنا واليد آلة»[١١].

هذه عقيدة الحلول التي كان يعتقدها الحلاج، فإن نفيه عن نفسه ادعاء الربوبية مع قوله: (من الرحمن الرحيم) ثم تفسيره بأن الكاتب هو الله، وأنه مجرد آلة من آلاته، فهذه الأمور مجتمعة لا معنى لها غير الحلول.

ويؤيد هذا أن بنت الحلاج أمرت بنت السمري زوجة ابن الحلاج بالسجود له، فقالت على الفطرة: أو يسجد لغير الله؟ فما كان من الحلاج لما سمع كلامها إلا أن قال: «نعم، إله في السماء، وإله في الأرض»[١٢].

٤- ومن أقاويله في الحلول:

أنا من أهوى ومن أهو أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته

(١٠) «السير» (١٤/ ٣٤٦).

(١١) «تاريخ بغداد» (٨/ ١٣٤-١٣٥)، و«السير» (١٤/ ٣٣٨).

(١٢) «الطواسين» (ص ١٣٤).

وإذا أبصرته أبصرتنا[١٣].

فلهذه الأقوال وغيرها أجمع علماء عصره على كفره وزندقته، ولذلك قتل ببغداد عام (٣٠٩ هـ).

وكان من سعى في قتله وعقد له مجلسًا وحكم عليه فيه بما يستحقه من القتل هو القاضي أبو عمر محمد بن يوسف المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد امتدحه ابن كثير على ذلك فقال: «وكان من أكبر صواب أحكامه وأصوبها قتله الحسين بن منصور الحلاج»[١٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين؛ فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد كقوله: أنا الله. وقوله: إله في السماء وإله في الأرض... والحلاج كانت له مخاريق وأنواع من السحر وله كتب منسوبة إليه في السحر. وبالجملة فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر واتحاده به وأن البشر يكون إلهًا وهذا من الآلهة: فهو كافر مباح الدم وعلى هذا قتل الحلاج»[١٥].

وقال -أيضًا-

قال الدكتور الإماراتي محمد عبدالرحيم سلطان العلماء -أستاذ الفقه وأصوله بجامعة الإمارات- القائمين على مسلسل "الحلاج" المنتظر عرضه على "تلفزيون أبوظبي" في رمضان المقبل، مستنكرًا ترويجهم لهذا الانحراف العقائدي، فقال في لقاء له على "تلفزيون دبي" عندما وجه له المذيع سؤالًا عن مسلسل "الحلاج": أعوذ بالله من الحلاج وتصوفه، الحلاج ليس صوفيًا، بل هو منحرف، وبث حلقات لتبييض وجه الحلاج كفران بالنعمة، ويحرم بثه، ويحرم نشره.

(١٣) «الطواسين» (ص ١٣٤).

(١٤) «البداية والنهاية» (١١/ ١٧٢٢).

(١٥) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤٨٠).

: «وما نعلم أحدًا من أئمة المسلمين ذكر الحلاج بخير لا من العلماء ولا من المشايخ؛ ولكن بعض الناس يقف فيه؛ لأنه لم يعرف أمره»[١٦].

٤- أقوال أهل العلم فيه.

عن طاهر بن عبد الله التستري، قال: «تعجبت من أمر الحلاج، فلم أزل أتتبع وأطلب الحيل، وأتعلم النارنجيات لأقف على ما هو عليه، فدخلت عليه يومًا من الأيام، وسلمت وجلست ساعة، فقال لي: يا طاهر! لا تتعنَّ، فإن الذي تراه وتسمعه من فعل الأشخاص لا من فعلي؛ لا تظن أنه كرامة أو شعوذة؟».

علَّق الذهبي: «فعل الأشخاص: يعني به الجن»[١٧].

وقال ابن النديم: «قرأت بخط أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر: الحسين بن منصور الحلاج كان رجلًا محتالًا مشعبذًا، يتعاطى مذاهب الصوفية يتحلَّى ألفاظهم، ويدعي كل علم وكان صفرًا من ذلك، وكان يعرف شيئًا من صناعة الكيمياء، وكان جاهلًا مقدامًا متهورًا جسورًا على السلاطين، مرتكبًا للعظائم، يروم إقلاب الدول، ويدعي عند أصحابه الإلهية، ويقول بالحلول، ويظهر مذاهب الشيعة للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة، وفي تضاعيف ذلك يدعي أن الإلهية قد حلت فيه وأنه هو هو، تعالى الله جل وتقدس عما يقول هؤلاء علوًّا كبيرًا»[١٨].

وقال أبو علي التنوخي القاضي: «من مخاريق الحلاج أنه كان إذا أراد سفرًا ومعه من يتنمس عليه ويهوسه، قدم قبل ذلك من أصحابه الذين يكشف لهم الأمر، ثم يمضي إلى الصحراء، فيدفن فيها كعكًا، وسكرًا، وسويقًا، وفاكهة يابسة، ويعلم على مواضعها بحجر، فإذا خرج القوم وتعبوا قال أصحابه: نريد الساعة كذا وكذا، فينفرد ويري أنه يدعو، ثم يجيء إلى الموضع فيخرج الدفين المطلوب منه، أخبرني بذلك الجم الغفير، وأخبروني

(١٦) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤٨٣).
(١٧) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٢٢).
(١٨) الفهرست (ص ٣٢٨-٣٢٩).

قالوا: ربما خرج إلى بساتين البلد، فيقدم من يدفن الفالوذج الحار في الرقاق، والسمك السخن في الرقاق، فإذا خرج طلب منه الرجل - في الحال - الذي دفنه، فيخرجه هو»[١٩].

قال الفقيه أبو علي بن البناء: «كان الحلاج قد ادعى أنه إله، وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت، فأحضره الوزير علي بن عيسى فلم يجده -إذ سأله- يحسن القرآن والفقه ولا الحديث، فقال: تعلمك الفرض والطهور أجدى عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها، كيف تكتب - ويلك - إلى الناس: تبارك ذو النور الشعشعاني؟! ما أحوجك إلى أدب! وأمر به فصلب في الجانب الشرقي، ثم في الغربي، ووجد في كتبه: إني مغرق قوم نوح، ومهلك عاد وثمود، وكان يقول للواحد من أصحابه: أنت نوح، ولآخر: أنت موسى، ولآخر: أنت محمد»[٢٠].

وقال أبو بكر بن ممشاذ: «حضر عندنا بالدينور رجل معه مخلاة، ففتشوها، فوجدوا فيها كتابًا للحلاج عنوانه: من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان.

فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه، فقال: هذا خطي وأنا كتبته.

فقالوا: كنت تدعي النبوة، صرت تدعي الربوبية؟!

قال: لا، ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله وأنا؟ فاليد فيه آلة»[٢١].

وقال محمد بن يحيى الرازي: «سمعت عمرو بن عثمان -وهو من مشايخ الصوفية- يلعنه ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدي، فقلت: أيش الذي وجد الشيخ عليه؟ قال: قرأت آية من كتاب الله، فقال: يمكنني أن أؤلف مثله وأتكلم به»[٢٢].

وقال أبو يعقوب الأقطع الصوفي: «زوجت ابنتي من الحسين بن منصور لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده، فبان لي بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال، خبيث

(١٩) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٢٠).
(٢٠) المرجع السابق (١٤/ ٣٢٧).
(٢١) «تاريخ بغداد» (٨/ ٧٠٧).
(٢٢) المرجع السابق (٨/ ٧٠٠).

كافر»[٢٣].

وقال أبو بكر الصولي: «قد رأيت الحلاج وجالسته ، فرأيت جاهلًا يتعاقل، وغبيًّا يتبالغ، وفاجرًا يتزهَّد، وكان ظاهره أنه ناسك صوفي، فإذا علم أن أهل بلدة يرون الاعتزال صار معتزليًّا، أو يرون الإمام صار إماميًّا، وأراهم أن عنده علما من إمامتهم، أو رأى أهل السنة صار سنيًّا، وكان خفيف الحركة مشعبذًا، قد عالج الطب، وجرب الكيمياء، وكان مع جهله خبيثًا، وكان يتنقل في البلدان»[٢٤].

وقال البقاعي: «أجمع أهل زمان الحلاج الذي هو رأس هذه الطائفة الاتحادية بعد فرعون، وهم أتباع طريقته على قتله على الزندقة»[٢٥].

وقال أبو الوفاء بن عقيل: «كنت قد اعتقدت في الحلاج، ونصرته في جزء، وأنا تائب إلى الله منه، وقد قتل بإجماع فقهاء عصره، فأصابوا وأخطأ هو وحده»[٢٦].

فليس لأحد بعد هذا أن يقول: قتل الحلاج مظلومًا، أو أن خصومه وحساده وشوا به عند السلطان فقتله، إذ الجو العلمي والاجتماعي آنذاك لم يكن مخالفًا لأصل طريقة التصوف، ففي زمانه عاش الجنيد وابن خفيف والشبلي وغيرهم من أئمة التصوف.

ولم يقع من الحلاج -إذ عرف أنه مقتول- توبة ولا رجوع عما كان عليه، بل استمر في ذلك إلى آخر نفس.

قال أبو عمر بن حيويه: «لما أخرج الحلاج ليقتل، مضيت وزاحمت حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يهولنكم؛ فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يومًا».

قال الذهبي: «فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج ممخرق كذاب، حتى عند قتله»[٢٧].

(٢٣) المرجع السابق (٨/ ٧٠٠).
(٢٤) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٣/ ٢٠٢).
(٢٥) «تنبيه الغبي» (٢/ ٢٦٧).
(٢٦) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٣١).
(٢٧) المرجع السابق (١٤/ ٣٤٦).

عجـــيبة

الأستاذ منير الإبراهيمي

من يعد الدعوة السلفية -والتي يسميها ظلمًا: السلفية المعاصرة(!)- من جملة التيارات الإسلامية، ثم يحاول نقـ(د/ ض)ها بلا روية؛ فهذا معلم بغفلته عن حقيقتها المنهجية، وسيره في ركب من يستهويه جلد الذات -رغم نتائجه السلبية(!).

وجل من يعيب على السلفيين؛ لا يفرق بين فعل العوام، وتقريرات العالم والإمام، وفتاوى العلماء الأعلام الخاصة بالأقاليم والبلدان، وما يعتريها من نوازل تستوجب الاجتهاد في الأحكام، بقدر حده مرتبة كل قضية في شريعة الإسلام، ومراعاة عقول الأنام، وما تستوعبه من أساليب الحديث والكلام.

فالسلفية المعاصرة(!) -كما يسميها منتقـ(د/ ض)ها- لم نجد في تصوراتها ما يعاب؛ بل وجدناها محقة في نصحها بتجنب كثير من الأسباب المؤذنة بالخراب.

ولك أن تتأمل تقريرات أئمة السلفية -في عصرنا الحاضر- في باب السياسة الشرعية، وتحذيرهم أبناء الأمة الإسلامية من فتن السياسة العصرية، ومنافحتهم عن حقوق الجموع الشعبية بالطريقة السلفية النقية والسلمية، بعيدًا عن الحماسة والاندفاعية، والتصرفات الطائشة واللاعقلانية.

ولك أن تتأمل دعوات علماء السلفية -في عصرنا- للحفاظ على كرامة المرأة في المجتمعات الإسلامية، وفضح شناعة حالها في المجتمعات الغربية الكفرية، والإلحادية، والمادية العلمانية.

ولك أن تقارن مناهج دعاة السلفية -في زماننا- في الموازنة بين العقل والنقل في استنباط الأحكام الشرعية، سيرًا منهم على خطى علماء القرون المشهود لهم بالخيرية.

وأنبه: أن السلفية واحدة لا تقبل التقسيم؛ فلا عصرية فيها، ولا تقليدية، ولا جهادية فيها، ولا مدخلية، ولا جامية(!)، بل هي دعوة واحدة ممتدة من العهد النبوي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لها أصول واضحة بينة؛ من خالفها فقد خالفها.

ومن تأمل قوله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1].

وقوله ﷺ: «لا يزال [قوم/ طائفة/ أمة] قائمة بأمر الله -من أمتي-، ظاهرين على الناس-على من ناوأهم-؛ لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله -تقوم الساعة-، وهم على ذلك، يقاتلون على الحق؛ يقاتل آخرهم المسيح الدجال»[2].

فهم المراد من هذا التنبيه.

وهذا الحديث يوافق ما دل عليه حديث الافتراق؛ حيث إن الفرق الثنتين والسبعين، تخالف الفرقة الناجية فيما هم عليه من الحق.

(١) حسن، وانظر تخريجه مفصلًا في كتاب «تصحيح حديث العدول» للشيخ سليم بن عيد الهلالي.

(٢) ملفق من عدة أحاديث في الطائفة المنصورة والتي بلغت حد التواتر.

ألفة الإسلام

قال الأوزاعي: كتب إليَّ قتادة: «إن كانت الدار فرقت بيننا وبينك؛ فإن ألفة الإسلام جامعة بين أهلها».

(تاريخ الإسلام) (١٢٠/٤)

ألفة الإسلام شأنها عظيم في جمعها للقلوب، وتأليفها بين النفوس، بل هي أوثق الروابط وأقواها، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾، وبين سبحانه في موضع آخر أن معاداتهم بلغت من الشدة أمرًا عظيمًا حتى لو أنفق ما في الأرض كله من أجل إزالتها والتأليف بين القلوب لم يتحقق من ذلك شيء وذلك في قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾.

فلله الحمد والمنة على الإسلام والسنة.

احذروا سماسرة الأعداء
الذين يلقون بين المسلمين بذور العداوة والشقاق

الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه» متفق عليه.

وفي الكتاب والسنة من الحث على هذا الأصل نصوص كثيرة، يأمر بكل ما يقوي الألفة ويزيد المحبة، ويدفع العداوة والبغضاء، وما ذاك إلا لما في الاجتماع والاتفاق من الخير الكثير والثمرات الجليلة والبركة والقوة، ولما في ضده من ضد ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

يعني: تخيب وتذهب روحكم الحقيقية ومعنويتكم النافعة.

وقد جمع الله في هذه الآية الأمر بالسعي لتحصيل القوة المعنوية بالإيمان والثبات، والصبر والاجتماع وعدم التنازع والتفرق، وبالقوة المعنوية أيضًا والمادية في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

فمتى امتثل المسلمون أمر الله فسعوا

في حصول الاتفاق وإزالة العداوات وأسبابها، وكانوا يدًا واحدة في السعي في مصالحهم المشتركة ومقاومة الأعداء، وبتحصيل القوة المادية بكل مقدور ومستطاع، وكان أمرهم شورى بينهم، متى عملوا على ذلك كله حصل لهم قوة عظيمة يستدفعون بها الأعداء، ويستجلبون بها المصالح والمنافع، وعاد صلاح ذلك إلى دينهم وجماعاتهم وأفرادهم، ولم يزالوا في رقي مطّرد في دينهم ودنياهم.

ومتى أخلّوا بما أمرهم به دينهم عاد الضرر العظيم عليهم، فلا يلوموا إلا أنفسهم، وقد وعد الله العز والنصر لمن قاموا بالتقوى واعتصموا بحبله وتمسكوا بدينه.

وأخبر أن هذا دين جميع المرسلين: قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [الشورى: ١٣].

أيها المسلمون: عليكم بلزوم ما حثكم عليه دينكم من المحبة والائتلاف، وإياكم والتفرق والاختلاف، عليكم بعمل جميع الأسباب المقربة للقلوب، وإياكم والعداوات والضغائن التي لا تُكسب إلا شرًّا.

احذروا سماسرة الأعداء الذين يُلقون بين المسلمين بذور العداوة والشقاق، ويدَّعون أنهم مسلمون، وإنما هو غل ونفاق.

المسلم هو الذي يسعى في جمع كلمة المسلمين واتفاقهم، ويحذر غاية التحذير من تدابرهم وافتراقهم.

ما طمع الأعداء وتسلطوا إلا بسلاح الفرقة الفتاك، ولا استعمروا أقطاركم وسيطروا على مصالحكم إلا بعدما انّحلت معنويتكم التي هي الحصن الحصين، الواقية من الوقوع في الأشراك.

يا أيها المسلمون: قوا أنفسكم وقَومكم مصارع الهلاك، وتسابقوا إلى استنقاذهم من هوة الدمار.

أما علمتم أن الأعداء إذ كنتم يدًا

واحدة ينظرون إليكم نظر التعظيم والرهبة والإكبار، فما زالوا يُلقون بينكم الشقاق والفرقة، ويضربون بعضكم ببعض حتى قضوا على معظم مقوماتكم، وما بقي إلا رمق حياة، إن أنتم عالجتموها وسعيتم في تنميتها وتقويتها رجيت لكم السلامة والأمن على مستقبلكم.

وقد آن الأوان للجد وشد المئزر والتعاضد بين المسلمين وبين حكوماتهم وجماعاتهم على وجه الحكمة ورعاية المصلحة، فقد وقفوا على الداء، وعرفوا كيفية الطريق إلى العلاج والدواء.

وقد تقارب ما بين حكومات المسلمين، واضطرتهم الأحوال إلى انضمام بعضهم إلى بعض، وعرفوا أن هذا هو الطريق الوحيد لعزهم، ونرجو الله أن يوفقهم للعمل الناجح والسعي النافع.

أيها المسلمون: أنتم الآن على مفترق الطرق بين الأمم، فإما تمسكٌ بدينكم واجتماعٌ به يحصل الفلاح، وإما إعراضٌ وتفككٌ لا يُرجى بعده عز ولا نجاح.

أيها المسلمون: قوموا لله، واعتصموا بحبل الله، واطمعوا واثقين بنصر الله، فالله مع الصابرين المتقين، وهو المولى فنعم المولى ونعم النصير.

طوبى للرجال المخلصين، وواشوقاً إلى الألبّاء الصادقين، الذين يُنهضون همم المسلمين في أقوالهم وأفعالهم، ويحذرون مسالك الشر في كل أحوالهم، يسعون في تقريب القلوب، ويجاهدون أحق الجهاد في هذا السبيل.

دأبهم القيام بدين الله، والنصيحة لعباد الله، كل امرئ منهم بحسب مقدوره، هذا بتعليمه وكلامه، وهذا بوعظه وإرشاده، وهذا بقوته وماله، وهذا بجاهه وتوجيهه إلى السبيل النافع، قد تعددت طرقهم، واتفقت مقاصدهم، أولئك هم المفلحون.

الرياض الناضرة - مجموع مؤلفات العلامة السعدي (٢٢/ ١١٣-١١٥).

الطريق الصحيح لإصلاح المجتمع

الإمام الالباني

إن الإصلاح اليوم لا يبدأ بالثورة وبالخروج على -الحاكم الكافر- فضلًا عن الخروج على الحاكم الفاسق، وإنما الإصلاح يبدأ كما نقول نحن دائمًا وأبدًا من عشرات السنين: بـ(التصفية والتربية).

فإن كان الرجل معنا في هذا المنهج فيذكَّر بهذا ويكفي، وإن كان ليس معنا؛ فينبغي أن يعلم، وأن نفهم منه كيف يريد وبمن يريد أن يخرج؟.

أكثر المسلمين جهلة!

وأكثر المسلمين الذين يعلمون بعض الأحكام الشرعية يخالفونها:

فنساؤهم (كاسيات عاريات)!

ومعاملاتهم مخالفة لأحكام الشريعة في كثير من نواحيها... إلخ.

ونحن جميعًا نعتقد بإن نصر اللهّٰ لعبادة المؤمنين مشروط بكلمة واحدة: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾، ونصر الله إنما يكون:

أولًا: بالعلـــــم.

ثانيًا: بالعمـــل.

والعلم اليوم كما تعلمون جميعًا فيه إنحراف كبير جدًّا عن العلم الذي كان عليه السلف الصالح؛ ولذلك ففي الحديث الصحيح: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١١).

الدين اليوم له مفاهيم عديدة جدًّا؛ ليس في الفروع فقط ، بل وكما يقولون

وفي الأصول -أيضًا- ليس في الأحكام، بل في العقائد.

فأنتم تعرفون اليوم أن أكثر المسلمين إما أشاعرة أو ماتريدية! أبهؤلاء ينتصر الإسلام؟!

إذاً لا بد من التصفية والتربية.

فـ«سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»: أي: بالمفهوم الصحيح.

فإذًا يجب أن نبدأ بتعليم الناس الإسلام بالمفهوم الصحيح، وتربيتهم على ذلك: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤].

أما غيرها من سبيل فلا يمكن أبدًا أن يعود إلى المسلمين عزهم[1].

روى البيهقي عن الربيع؛ قال:

بعثني الشافعيُّ بكتابٍ من مصر إلى أحمد بن حنبل، فأتيته، وقد انفتل من صلاة الفجر، فدفعت إليه الكتاب، فقال:

أقرأته؟، فقلت: لا.

فأخذه، فقرأه، فدمعت عيناه، فقلت: يا أبا عبد الله، وما فيه؟

قال: يذكر أنَّه رأى رسول الله ﷺ في المنام، فقال: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، واقرأ عليه مني السَّلام، وقل له: إنَّك ستُمْتَحن، وتُدعى إلى القول بخَلق القرآن، فلا تُجبهم، يرفع الله لك عَلَمًا إلى يوم القيامة.

«البداية والنهاية» (١٠/٣٦٥).

(١) جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى (٥/ ٢٩٠).

بطلان ما نسب للإمام مالك: «من جواز قتل ثلث الأمة لاستبقاء ثلثيها».

أسرة التحرير

تداول الإعلام ووسائله وروج دعاته من أهل الصحافة مقولة تناقلوها على لسان علماء وسياسيين ورؤساء دول أحيط بهم تنسب هذه المقولة إلى الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «أنّه يجوز قتل ثلث الأمة من أجل استصلاح الثلثين».

وإيمانًا من (مجلتكم السلفية) و(القائمين عليها) بوجوب الدفاع عن علماء السلف، وتفنيد ما ينسب إليهم كذبًا؛ فإننا نبين -مستعينين بالله- فساد هذه المقولة: المرذولة فقهًا، المكذوبة سندًا.

ولكن من الأهمية بمكان قبل الخوض في معالجة هذا القول من ناحية البحث في صحّته ومدلولاته: أن نتعرض لبعض المرتكزات المنهجية التي يجب أن تصاحب النظر في فقه هذه المقولة وصحّتها؛ وهي كثيرة لا يسعنا أن نلمّ بها في هذه العجالة وإنما سنشير إلى بعضها، ومن ذلك:

أولًا: طلب الرئاسة وإبقاء الجاه مزلة عظيمة لردِّ الحقِّ وتسويغ الباطل ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وطالب الرئاسة -ولو بالباطل- ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه وإن كانت باطلًا، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه وإن كانت حقًا»[1] فهذا هو معيار الأغلب الأعم من أرباب الرئاسات.

ثانيًا: حال كثير من أصحاب السياسات كحال أهل البدع والأهواء يعتقدون ثم

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٩٩).

يستدلّون بالأدلة التي توافق مآربهم، فيجعلون سياساتهم حاكمة على الدين، وفي ذلك يقول الشاطبي: «فالمبتدع من هذه الأمة إنما ضل في أدلتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة، لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله، وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره؛ لأن المبتدع جعل الهوى أول مطالبه، وأخذ الأدلة بالتبع»[٢].

ثالثًا: اتِّباع المتشابه من أقوال أهل العلم والاستدلال بالمجمل من الكلام الذي يصلح حمله على ما هو حقٌّ وباطل دون الرجوع إلى المفصَّل والمفسَّر الذي يُفهم على ضوئه ما أُجمل من الأقوال طريقة أهل الأهواء والإلحاد، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأخذ مذاهب الفقهاء من الإطلاقات من غير مراجعة لما فسَّروا به كلامهم وما تقتضيه أصولهم يجر إلى مذاهب قبيحة»[٣].

رابعًا: ليس من الفقه الجمود على ما في كتب الفقهاء، وتنزيل نصوصها على كل واقع، إذ من أصول الإفتاء والتنظير الفقهي: أن الاجتهاد في الفتوى يتغير بحسب الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيّات والعوائد، فما يصلح في زمن الإمام مالك قد لا يصلح في زمن غيره، وهكذا، وقد قال القرافي: «والجمود على المنقولات أبدًا ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين»[٤].

خامسًا: يجب مراعاة تقدير المصالح والمفاسد والموازنة بينها سواء على الصعيد الداخلي للدول أو الخارجي حيث الاحتكام والهيمنة من قبل القوانين الدولية ضمن النظام العالمي المشترك، فليس من الفقه تنزيل الاجتهاد بمعزل عن التبعات والآثار والمفاسد الداخلية والخارجية المترتبة على إسقاط الأحكام على أرض الواقع كيفما كان!.

ورحم الله الإمام ابن القيم فقد قال كلامًا بديعًا عند تقريره لهذا الأصل العظيم؛ وهو: مراعاة تحقيق المصالح، ودرء المفاسد في بيان خطر إزالة المنكر بما هو أنكر ما نصُّه:

«ومن تأمل ما جرى على الإسلام في

(٢) الاعتصام (١/ ٢٣٤).
(٣) الصارم المسلول (ص٢٨٠).
(٤) الفروق (١/ ١٧٧).

الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها[٥]».

وبعد هذه التوطئة المهمة: فأول ما نبحثه هو: هل هذه المقولة ثابتة عن الإمام مالك؟.

فنقول: إنَّه قد اشتهر أنَّ أول من نسب هذا القول إلى الإمام مالك هو أبو المعالي الجويني، فقد رأى أن الإمام مالكًا أفرط في القول بالمصلحة المرسلة، حتى جرَّه ذلك إلى استحلال هذا الفعل، وذلك في أكثر من موضع في كتبه، ومن ذلك قوله: «ومالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التزم مثل هذا في تجويزه لأهل الإيالات[٦] القتل في التهم العظيمة، حتى نقل عنه الثقات أنه قال: «أنا أقتل ثلث الأمة لاستبقاء ثلثيها»[٧]، بل عزى إلى أبناء زمانه أنهم «ذهبوا إلى أن مناصب السلطنة والولاية لا تستدُّ إلا على رأي مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

(٥) إعلام الموقعين (٣/ ١٢).
(٦) الإيالات: جمع الإيالة وهي السياسة، انظر: مختار الصحاح (ص٢٥).
(٧) البرهان في أصول الفقه (٢/ ١٦٩)، وانظر كذلك: (٢/ ٢٠٧).

وكان يرى الازدياد على مبالغ الحدود في التعزيرات، ويسوِّغ للوالي أن يقتل في التعزير، ونقل النقلة عنه أنه قال: للإمام أن يقتل ثلث الأمة في استصلاح ثلثيها»[٨].

وقد تتابع علماء المالكية وفقهاؤهم على تشنيع هذا النقل، وتواتر عنهم تبرئة الإمام مالك منه، ونشير إلى من وقفنا على نصوصهم في ذلك: ابن العربي[٩]، وابن شاس[١٠]، والقرطبي[١١]، والقرافي[١٢]، وعلي بن إسماعيل الأبياري[١٣]، والشمَّاع وقد طوَّل في ردِّه حيث أوصله إلى خمسة وعشرين وجهًا[١٤]، ومحمد بن عبد القادر الفاسي[١٥]، ومحمد الأمير[١٦]،

(٨) غياث الأمم (ص٢١٩).
(٩) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (٣/ ٩٣٢).
(١٠) كما نقله عنه الزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه (٨/ ٨٤).
(١١) انظر: المرجع السابق.
(١٢) نفائس الأصول (٩/ ٤٠٩٢).
(١٣) التحقيق والبيان في شرح البرهان (٤/ ١٧٥ و٣٣١).
(١٤) مطالع التمام ونصائح الأنام (ص١١٤).
(١٥) كما نقله عنه الزرقاني في شرحه على مختصر خليل (٧/ ٥٥)، وعليش في منح الجليل (٧/ ٥١٣).
(١٦) حاشيته المسماة: ضوء الشموع على متنه: المجموع (٣/ ٥٦٨).

والحجوي[١٧]، ومحمد الأمين الشنقيطي[١٨]، ومحمد الخضر حسين[١٩]، وإدريس الفاسي الفهري[٢٠]، وحاتم باي[٢١]، هذا فضلًا عمَّن أفرد ردَّه بتصنيف مستقل كرسالة: «تقييد في رد ما نُسب إلى الإمام مالك من جواز قتل الثلث استصلاحًا للثلثين» لمحمد المسناوي[٢٢]، ورسالة: «بيان غلط الجويني فيما نسبه إلى الإمام مالك من القول بجواز قتل ثلث العامة لمصلحة الثلثين» لحسين بن إبراهيم المالكي[٢٣].

ولقد أسهبوا في بيان عوار هذا القول من وجوه عديدة، ونلخِّص بعض النقدات بما يناسب المقام ضمن إشارات سريعة، ومن ذلك:

الأول: هذا النقل مما تتوافر الدواعي على نقله لخطورته، وعظيم المترتب عليه، فلا يقبل فيه الواحد، ولو كان ممن أخذ عن مالك، فكيف وبينه وبينه أعصار؟!.

الثاني: مذاهب الأئمة لا يعوَّل على ما وجد منها في كتب المخالفين لهم، والعمدة في ذلك على ما نقله أهل مذهبه، أما النقول التي ينقلها غيرهم فلا يُقبل منها إلا ما وافق عليها أهل المذهب، أو كانت مروية بأسانيد تصحّ إلى من نسبت إليه؛ لذلك قال ابن شاس منكرًا على الجويني: «أقواله تؤخذ من كتبه وكتب أصحابه، لا من نقل الناقلين»[٢٤].

الثالث: مثل هذا النقل لا يتماشى مع أصول الأئمة الفقهاء، الذين يشترطون لقبول المصالح شروطًا دقيقة، وإنما هو أليق بأهل السياسات النكراء: « فإن مالكًا يشترط في المصلحة أهلية الاجتهاد؛ ليكون الناظر متكيِّفًا بأخلاق الشريعة، فينبو عقله وطبعه عما يخالفها، بخلاف العالم بالسياسات إذا كان جاهلًا بالأصول، فيكون بعيد الطبع عن

(١٧) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (١/ ١٥٦).

(١٨) المصالح المرسلة (ص١٠)، ومذكرة في أصول الفقه (ص٢٠٣).

(١٩) موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (ص١٥٠٤).

(٢٠) انظر: تحقيقه على: مفتاح الوصول إلى علم الأصول لمحمد الطيب الفاسي (ص٣٢٢).

(٢١) الأصول الاجتهادية التي يُبنى عليها المذهب المالكي (ص١٢٢).

(٢٢) قام بتحقيقها رشيد الحمداوي، ونشرت في مجلة المذهب المالكي (العدد العاشر: صيف١٤٣١، ص٩٥).

(٢٣) نُشرت بتحقيق فؤاد بن أحمد عطاء الله في مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية بالجزائر، (العدد ١٨، ص٢٢٥).

(٢٤) كما نقله عنه الزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه (٨/ ٨٤).

أخلاق الشريعة، فيهجم على مخالفة أخلاق الشريعة من غير شعور»[٢٥].

الرابع: هذا القول «يفتح باب الشر على مصراعيه، ويجعل للظلمة سبيلًا على الأبرياء، فيسفكون الدماء بحجة أن فيه إصلاحًا للناس، وأي مجتهد يجرأ على تقرير تلك القاعدة الفاسدة»[٢٦]، ولذا قال بعض أئمة المالكية:«هذا الكلام لا يجوز أن يسطَّر في الكتب؛ لئلا يغتر به بعض ضعفة الطلباء، وهذا لا يوافق شيئًا من القواعد الشرعية»[٢٧].

الخامس: هذا القول لا يجري مجرى الأقوال المسندة المعتبرة والقواعد المؤصَّلة، وإنما هو باعتراف الجويني -نفسه- أنه من قبيل زلات العلماء، وزلات العلماء الواجب طرحها إذ لا ينبغي أن تعد لهم مذهبًا، وقد قال الجويني مقررًا ذلك: «أن مالكًا لما زلَّ نظره كان أثر ذلك تجويز قتل ثلث الأمة»[٢٨].

السادس: أنَّ الجويني لما ضبط المصالح قال ما نصُّه: «ولا يجوز التعلق عندنا بكل مصلحة، ولم ير ذلك أحد من العلماء، ومن ظنَّ ذلك بمالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أخطأ؛ فإنه قد اتخذ من أقضية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أصولًا، وشبَّه بها مأخذ الوقائع، فمال فيما قال إلى فتاويهم وأقضيتهم»[٢٩]، فهل مثل هذا القول يتوافق مع هذا الضابط الذي أناط به أصول الإمام مالك، وهل مثله يتصور أن يصدر عمَّن كان جليل القدر فقيه النفس كالإمام مالك؟!.

السابع: أنّ مثل هذه الصورة -إن صحَّت- هي واقعة نظرية قد يضربها الفقهاء للتمثيل على الفرضيات الفقهية في مثل ما إذا كانت المصلحة ضرورية قطعية عامة، بمعنى أنَّه إذا لم يبق من المسلمين إلا طائفة واحدة وتترس العدو بمسلمين، وأيقنَّا أنَّنا إن لم نقتل هذا الترس قتلونا وقتلوا الترس فحينئذ يخشى على فناء جميع المسلمين، فقتل ثلث المسلمين أهون من فناء جميعهم.

الثامن: أنَّ هذا النقل مناقض لاستدلالات الإمام مالك؛ ومن ذلك: قوله حينما سئل

(٢٥) نفائس الأصول للقرافي (٩/ ٤٠٩٢).
(٢٦) الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (٣/ ١٣٤).
(٢٧) شرح الزرقاني (٧/ ٥٥)، ومنح الجليل لعليش (٧/ ٥١٣)، ولوامع الدرر للمجلسي الشنقيطي (١١/ ١٦٨).
(٢٨) البرهان (٢/ ٢٠٧).
(٢٩) البرهان (٢/ ٢٠٦).

«عن قوم من المشركين في البحر في مراكبهم أخذوا أسارى من المسلمين، فأدركهم أهل الإسلام أرادوا أن يحرقوهم ومراكبهم بالنار، ومعهم الأسارى في مراكبهم؟ قال مالك: لا أرى أن تُلقى عليهم النار، ونهى عن ذلك، وقال مالك: يقول الله تبارك وتعالى في كتابه لأهل مكة: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥] أي: إنما صرف النبي عن أهل مكة لما كان فيهم من المسلمين، ولو تزيَّل الكفار عن المسلمين لعذب الذين كفروا؛ أي: هذا تأويله»[٣٠]، فإذا كان مع النبي ﷺ وقتئذ العترة المكرَّمة والخلفاء الأربعة وبقية العشرة وجميع من بايع تحت الشجرة وأهل بدر وأحد، فماذا عسى أن تكون نسبة من كان في مكة من ضعفاء المؤمنين إلى جانب السواد الأعظم من الصحابة مع النبي ﷺ، فإذا كان أكثر المسلمين يمنعون من قتل الكافرين وهو واجب عليهم خشية أن يصيبوا مؤمنًا خطأً، فكيف يستجيز أحد بعد هذا الاستدلال من الإمام مالك فضلًا عن غيره أن يقول: لا بأس بقتل الثلث من أجل استصلاح الثلثين ؟!، بل راعى الإمام مالك ألا تحرق حصون الأعداء الكافرين الذين حاصرهم المسلمون لو كان فيها نساء أو ذراري المشركين رغم أنَّ في ذلك تحقق النصر للمسلمين[٣١]، ومن المعلوم أن حرمة المسلم أعظم من حرمة ذرية المشركين ونسائهم، فكيف يصح عنه القول بقتل ثلث الأمة في سبيل إصلاح ثلثيها ؟!.

التاسع: أن المشهور من سيرة الإمام مالك عندما كانت تقوم الثورات على الحكام أنه كان يلتزم الحياد، ولا يدعو إلى أحد، ولا يناصر أحدًا عند الفتن، فقد روى عيسى عن ابن القاسم قال: سئل مالك عن الوالي إذا قام عليه قائم يطلب إزالة ما بيده، هل يجب علينا أن ندفع عنه غيره؟ قال: أما مثل عمر بن عبد العزيز فنعم، وأما غيره فلا، فدعه وما يريد منه، ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما[٣٢].

(٣٠) المدونة (١/ ٥١٣).

(٣١) المرجع السابق.

(٣٢) «الجامع لمسائل المدونة» للصقلي (٦/ ٢٣٨)، و«مالك» لمحمد ابو زهرة (ص٦٩).

الدرر البهية مختصر الفتاوى الألبانية

الإمام الالباني

اتباعًا للسنة المحمودة التي كان يحرص عليها العلامة الألباني بنشر أجوبته في مجلة الأصالة، والتي أقرّت عيون أهل السنة؛ أحببنا أن نجدّد العهد بتهذيب وتبويب فتاويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سلسلة الهدى والنور.

هل الأعمال تضاعف في شهر رمضان؟

السائل: هل النفل يعدل في رمضان فريضة، والفريضة تعدل سبعين فريضة؟

الشيخ الألباني: لم يرد شيء من هذا مطلقًا في السنة.

السائل: وهل الحسنات بشكل عام تضاعف وكذلك السيئات؟

الشيخ الألباني: هذا سؤال -أيضًا- يكثر إيراده فيما يتعلق بمكة والمقيم في مكة سواء كان آفاقيًا أو مكيًّا.

الجواب: لا يوجد نصٌّ في الشرع أن الحسنات تتضاعف وكذلك السيئات نظرًا لفضيلة المكان أو لفضيلة الزمان، فضيلة المكان كمكة والمدينة مثلًا، وأما فضيلة الزمان كشهرنا هذا شهر رمضان، ليس هناك نص صريح في أن الحسنات أو السيئات تتضاعف، ولكن استنباطًا؛ يقول بعض العلماء: أنها تتضاعف استنباطًا، أي: ليست نصًا، فإذا قال إنسان ما: أن الحسنات تتضاعف فلا بأس من ذلك؛ لأنه قول بعض العلماء، ولكن لا يجوز الجزم بذلك؛ لعدم ورود النص المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الوقت الشرعي لافطار الصائم

السائل: ما هو وقت الإفطار الشرعي للصائم؟

الشيخ الألباني: يجب أن تعلموا هذا الحديث: «إذا أقبل الليل من هاهنا وأشار إلى المشرق، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس؛ فقد أفطر الصائم»، لذلك فمن الوهم ومن الخطأ الفاحش أن نتوهم أننا إذا رأينا الشمس غربت من هاهنا، نقول: أن وراءه فيه جبل أو فيه أبنية، بل ننظر نحن هل أقبل الليل من هاهنا أم لا، فإذا كان الضوء الذي هو فوقنا نور النهار إذا كان لا يزال ممتدًا إلى المشرق، وهو كذلك إلى المغرب ولو غربت الشمس فما أفطر الصائم، لكن إذا أقبل الليل من هاهنا يعني بدأ الظلام يهجم علينا من جهة الشرق، وبدأ ضوء الشمس يغيب وراء الأفق، والشمس -أيضًا- غربت.

قال ﷺ: «فقد أفطر الصائم»، ولذلك نحن لا نستطيع أن نتصور وضعًا تتجمع فيه هذه الأوصاف الثلاثة أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، ونقول: لا ما صار وقت الإفطار، هذا صدم لحديث الرسول ﷺ الذي يتكلم بلسان عربي مبين.

كفارة المفطر يومًا من رمضان

السائل: ما مدى صحة القول: بأن على الذي يفطر بالجماع كفارة وقضاء يوم؟

الشيخ الألباني: هناك روايات يقول الحافظ بن حجر العسقلاني: بأنه أمر الرسول ﷺ الذي أفطر بالجماع أن يقضي يومًا، هذه الروايات كما يقول ابن حجر نفسه في مفرداتها ضعف لكن مجموعها يعطي للحكم قوة، فهذا هو مأخذ القول بوجوب القضاء بالنسبة لمن أفطر بالجماع بالإضافة إلى الكفارة المغلظة المعروفة.

تقسيم قيام الليل في العشر الأواخر إلى تراويح وتهجد

السائل: ما يحدث الآن في العشر الأواخر يقسمون الصلاة صلاة القيام في أول الليل وفي آخره تهجد، وأصبح هذا نظامًا جائزًا؟

الشيخ الألباني: تبكرون كما قال عمر: «والتي يأخرون أفضل»؛ يعني: أمر أُبَيَّ بن كعب أن يقيم صلاة القيام بالناس بعد صلاة العشاء ففعل، ولما خرج يتحسس؛ قال: «نعمة البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل»، ويبقى الحال على ما كان قبل العشر الأواخر.

الدروس العلمية بين صلاة التراويح

السائل: هل يجوز لإمام المسجد الذي يؤم الناس في المسجد في صلاة التراويح أن يذكرهم ببعض الأمور في الاستراحة؛ مثلًا في حسن الصلاة، واتباع النبي ﷺ، والتنبيه على بعض البدع والشركيات؟

الشيخ الألباني: الجواب يجوز ولا يجوز؛ إذا كان التنبيه والتحذير والأمر والنهي لأمر عارض؛ فهذا أمر واجب، أما إذا كان يتخذ نظامًا وعادة بين كل أربع ركعات مثلًا أو أكثر من ذلك أو أقل من ذلك يلقي الإمام درسًا فهذا خلاف السنة؛ لأن صلاة التراويح عبادة محضة يتوجه المسلم إلى الله عز وجل بكل جوارحه ولبه وعقله وقلبه، هذا هو الواجب من صلاة القيام، أما أن يتخذ هناك مجالس بين ركعتين أو أربع؛ هذا لم يكن عليه الرسول ﷺ.

صوم المسافر في رمضان

السائل: هل يجوز صيام المسافر في رمضان؟

الشيخ الألباني: لا شك في جواز ذلك، ولا سيما وقد جاء التصريح بالتخيير في حديث في صحيح مسلم حينما سأله الصحابي المسمى بعمرو بن حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه يسافر كثيرًا فهل يصوم؛ قال: «إن شئت فصم وإن شئت فأفطر» ولهذا فالمسافر في رمضان له خيار بصريح هذا الحديث، وهذا من حكمة التشريع أنه لم يرجح الصوم على الفطر أو الفطر على الصوم، وإنما أوكل الأمر إلى المكلف؛ لأن المكلفين يختلفون في ذلك اختلافًا كثيرًا؛ لذلك كان قوله ﷺ: «إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر» في منتهى الحكمة.

تكرار الجماع في شهر رمضان

السائل: تكرار الجماع في شهر رمضان نهارًا هل يستلزم تكرار الكفارة؟

الشيخ الألباني: طبعًا إذا تكرر بتكرر الأيام أما إذا تكرر في اليوم الواحد فلا.

من تعمد الإفطار في رمضان بغير عذر

السائل: من تعمد الإفطار في رمضان بغير عذر هل هناك دليل على إلزامه بالقضاء؟

الشيخ الألباني: لا، ولا يمكنه القضاء، وهو آثم وعليه أن يتوب إلى الله عز وجل كتارك الصلاة عامدًا متعمدًا.

هل الأعمال الشاقة عذر شرعي يبيح له الإفطار في رمضان؟

السائل: ما حكم الإسلام في رجل يعمل بالمعمار أعمالًا صعبة، ويسأل هل له عذر في إفطار رمضان مع الفدية أو الكفارة مع أنه يقوم بالإنفاق على والديه؟

الشيخ الألباني: لا يجوز أن يفطر من أجل الشغل.

حكم الحقن الطبية التي تعطى للمريض

السائل: هل الحقن الطبية التي تعطى للمريض تعد من المفطرات؟

الشيخ الألباني: الحقن نستطيع أن نقول مفطرة وهي الإبرة التي يراد منها التغذية تفطر الإنسان سواء كان مريضًا أو كان سليمًا، فيعيش على هذه الابرة، هذه الإبرة المغذية هي التي تفطر، وما سوى ذلك لا تفطر.

كان الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله، فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يومًا: والله لهذه الكتب أشد عليَّ من ثلاث ضرائر.

«وفيات الأعيان» (١٧٧/٤).

ترجمة الشيخ محمد شعيب عابدين

مفتي مدينة (جنرال سانتس) بالفلبين

الدكتور هاني بن سالم الحارثي

ولد الشيخ العالم السلفي داعية التوحيد والسنة محمد شعيب عابدين في سنة (١٣٧٥) هجري في مدينة (جنرال سانتس) جنوب الفلبين.

تلقى تعليمه الأولي في المدارس الابتدائية في مدينته المذكورة، والتحق بالمعهد الأزهري في مدينة (كوتا باتو)، ثم التحق بالجامعة الإسلامية في سنة (١٣٩٨) هجري، في المعهد الثانوي، وتخرج من الجامعة من كلية الدعوة عام (١٤٠٦-١٤٠٧) هجري.

وفي المدينة النبوية أخذ عن ثلة من علمائها؛ كالعباد، وشيبة الحمد، وبن ثاني في آخرين.

وكان على العقيدة الأشعرية في أول قدومه للمدينة، وهداه الله إلى العقيدة السلفية: عقيدة أهل الحديث بفضل الله وحده.

وفي المدينة النبوية حضر مجالس ومحاضرات وبعض الدروس لابن باز والتقى بالألباني وتأثر به وبكتبه وصوتياته المنتشرة.

ولما رجع إلى الفلبين باشر دعوة الناس، وأنشأ مدرسة بالتعاون مع أحد الأفاضل من بلدييه، وقام بإلقاء الدروس فيها وفي مدينته وضواحيها.

وبعد سنة (١٤٠٨) هجري، عُيِّن مفتيًا لمدينة (جنرال سانتس) إلى وفاته.

وقد أخبرني بعض كبار الدعاة الفلبينيين في (جنرال سانتس)

عندما زرت مدينتهم سنة (١٤٣٥) هجري، موفدًا من وزارة الشؤون الإسلامية السعودية في برنامج الإمامة في رمضان: أن السحر والبدع والخرافات كانت على قدم وساق، وانحراف الناس في توحيد العبادة في غاية السوء لدرجة أنه يندر أن تجد بيتًا مسلمًا إلا وفيه استخدام السحر والحجب البدعية بل والشركية، مع الوقوع في الشرك الأكبر من الذبح والنذر والطواف بالقبور، وقضى الله بسبب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كثير من البدع والشركيات.

وكان قوي الحجة صاحب مناظرات ينقطع فيها خصومه؛ لذا تأثر سكان المدينة وما حولها بدعوته.

وقال لي أحد كبار المسلمين في مدينته: أنه لا يمكن أن يقيم أحد احتفال المولد والإسراء والمعراج وغيرها من البدع بسبب الشيخ شعيب، وتحذيره من ذلك.

وأخبرني كبار الدعاة في (جنرال سانتس) -أيضًا- حينما قلت لهم: هل تعرفون من هو أفضل منه في العلم ليكون مفتيًا بدلًا عنه، فقالوا: لا يوجد في الفلبين كلها من يوازيه في العلم فضلًا عن أن يكون أفضل منه!!

وكانت له دروس في الإذاعة أسبوعية، وفي بعض المواسم يومية، أو يومًا بعد يوم، يصل مدى دروسه الى أندونيسيا وماليزيا وغيرها، ودروسه كثيرة في مسجده ومساجد ضواحي مدينة (جنرال سانتس).

وله جولات كثيرة في الضواحي البعيدة لمدينته، وربما قطع ٣٠٠ كيلو بالسيارة استئجارًا لإلقاء الدروس والمحاضرات، ونشر العقيدة السلفية، وتعليم الناس وتبصيرهم بأمور دينهم مع قلة ذات يده.

وهو محب لعلماء السنة، كابن باز والألباني معظم لهما جدًّا، ويرى: أنهما من رجالات السلف، ولكنهما وجدا في هذا الزمان، وهذا من فضل الله علينا.

كما أنه مبغض للتحزبات صغيرها وكبيرها، ولا يحب الدخول في شيء من ذلك، ومن رأى حاله وطريقته ومشاه ونشاطه ينبيك عن صدقه وزهده وبعده عن زخارف الدنيا.

وقد عرفته في الفلبين، والتقيت به سنة (١٤٣٥) هجري، بصحبة الشيخ عباس بن محمد الشرقاوي، وكان لقاء ماتعًا رأيت فيه مهابة العلم وعزته، والارتفاع عن السفاسف واحتقار الدنيا وعدم الاكتراث بها.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الثلاثاء (١٩/ رجب/ ١٤٤٠) هجري، بعد صلاة العشاء بتوقيت الفلبين

اللهم ارحم عبدك محمد شعيب عابدين، وارفع درجته في عليين.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والعلماء المتبصرون اليوم في أوطان المسلمين قليلون، وعلماء السوء وأدعياء العلم من الذين يدعون أنفسهم علماء وليسوا بعلماء، وينتسبون إلى العلم كذبًا وباطلًا كثيرون، ولكن لا عبرة بهم ولا قيمة لهم؛ لعدم علمهم بالحق، وعدم نصرهم للحق، وحجة المخالفين والمبتدعين والضالين ضعيفة واهية». (الفتاوى (٣/١٣٤)).

منبر أهل السنة والجماعة في زمن الغربة

جميع المراسلات باسم المشرف العام - واتس آب: 00962795515806

انكروا البدع حتى لا تصير دينًا

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
«لما كثرت البدع والمخالفات
وتواطأ الناس عليها صار
الجاهل يقول:
لو كان هذا منكرًا لما
فعله الناس».

«الاعتصام» (٢/١١٢).